المشروع القومى للترجمة

التليفزيون: خطر على الديمقراطية

مقالات مختارة

ترجمة ودراسة

مجدى عبد الحافظ



٢٠٠٥



المشروع القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد : ٩٦٩
- التليفزيون : خطر على الديمقراطية
- مجدى عبد الحافظ
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب

هذه ترجمة مجموعة من المقالات المختارة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت:٧٣٥٢٣٩٦ فاكس:٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel:7352396 Fax: 7358084

المحتويات



إهداء

أُهدى هذه الترجمة إلى زوجتى الدكتورة هدى كشرود

مجدى



تصدير

يسعدنى أن يرى هذا الكتاب أخيرًا النور؛ فمنذ أن اطلعت عليه للمرة الأولى، تملكتنى رغبة فى أن يقرأ محتواه كل أبناء لغة الضاد. فالمسألة هنا وإن كانت تتعلق بدور وطريقة عمل التليفزيون فى العالم الغربى. فإن الوضع لدينا فى حاجة ماسة إلى مثل هذه الكتابات لفهم أعمق لحقيقة ما تقوم به الشاشة الصغيرة من تأثير فى عقول الصغار والكبار. وإذا كانت التأثيرات شديدة السلبية فى العالم الغربى المتقدم، فما بالنا بما يحدث لدينا مع غياب هذه النوعية من الدراسات الحقلية التى تدمج النظر بالعمل للوصول إلى آلية لفهم أفضل للظاهرة الإعلامية، بل وشد انتباه الناس وإثارة وعيهم النقدى فيما يتصل بأخص خصائص حياتهم الشخصية. فالتليفزيون هو الزائر الوحيد المصرح له بالإقامة الدائمة فى منازلنا، بل والدخول حتى إلى غرف نومنا دون أن نبدى مع ذلك قلقًا أو حذرًا ما تجاه ما يقدمه لنا رغمًا عنا، وأحيانًا ضد رغباتنا.

إن ما يضفى أهمية على هذا الكتاب الصغير إضافة إلى الدراسة الحقلية التى يقدمها چون كوندرى عالم النفس الأمريكى، هو نص الفيلسوف كارل بوبر الذى طالما عهدناه رائدًا فى الدراسات

الإبستمولوچية المعاصرة، إلا أننا وجدناه وبنفس القدر فى العقود الأخيرة، رائداً لا يقل أهمية فى حقل الدراسات الفلسفية السياسية، إلى الدرجة التى جعلته منذ ذلك الحين موضوعًا لرسائل علمية أكاديمية فى عديد من جامعات العالم. كتب بوبر نصه هذا قبل وفاته بوقت قليل، للتعليق على دراسة كوندرى، وهو نص يعبر عن قناعات بوبر الأخيرة، خاصة وقد اكتشف المخاطر التى يمثلها الإعلام فى مواجهة "المجتمع المفتوح" الذى ظل طيلة عمره مدافعًا شرسًا عنه، وعلى الرغم أن هذا النص يمثل بحد ذاته تراجعًا من بوبر عن أفكاره حول ديمقراطية مجتمعه المفتوح، خاصة عندما أقر بضرورة الرقابة أيًا كانت أشكال هذه الرقابة أو التسميات التى تحملها، على الرغم من ذلك، ينبه هذا النص إلى أوجه القصور لدى القائمين على هذا الجهاز أو لدى المجتمع بأكمله، إضافة إلى أنه يسلط الضوء على هشاشة الديمقراطية كنظام سياسى واجتماعى، إن لم يجد المساندة واليقظة المستمرة من جموع المواطنين لحماية حقوقهم فى الحرية والاختيار على كل المستويات. تكمن أهمية الكتاب إذن فى توجيه انتباهنا إلى نقطة قلَّما أعرناها الاهتمام الذى تستحق، وذلك على الرغم من أن الكتاب يخلط بين مستويات المعالجة، فلا يكاد يفرق بين الأخلاق باعتبارها علمًا ينتمى للعلوم الفلسفية أو بين مواثيق شرف المهنة المتعارف عليها فى المهن المختلفة. وهو ما سنومئ

إليه فى دراستنا التى سنقدم بها هذه الترجمة. والحق أن الأمر ملتبس حتى فى الغرب، خاصة بعد جملة التغيرات والتراكمات المتسارعة فى العقود الأخيرة، والتى قادت إلى الحديث عن الفلسفة التطبيقية، ومن ثم مقاربة أخلاق ذات طبيعة خاصة ارتبطت بما حدث على أرض الواقع من تغيرات جذرية طالت الإنسان ومحيطه الحيوى (الهندسة الوراثية، والاستنساخ، ومشروع الجينوم البشرى، ثم الهاب ماب (خريطة الجينات البشرية الدقيقة)، ومشكلات البيئة المؤثرة فى التنوع الحيوى والبيئى، واستمرار الحياة على الأرض، إضافة إلى ثورة الاتصالات والمعلومات وعلى رأسها النت والسماوات الفضائية المفتوحة...إلخ) فأصبحت الأخلاق الكلاسيكية عاجزة عن مجاراة ما حدث، وأضحت الحاجة ماسة لأخلاق جديدة تستجيب لمتطلبات الواقع الذى تغير، أخلاق يمكن تطبيقها على هذه الحالة الديناميكية غير المسبوقة.

ولا يفوتنى أن أشكر الأستاذ حسن كامل على جهده فى الجمع والتوضيب، وكذلك الأستاذين جورج قديس ووجدى خيرى على مطابقتهما المخطوط على النص المطبوع، كما أشكر الصديق العزيز د.حسن طلب على مراجعته لهذا النص.

والحق أنه لولا المشروع القومى للترجمة ما كانت رغبتى فى أن يخرج الكتاب إلى النور قد تحققت على هذا النحو، فتحية إلى المشروع

والقائمين عليه وعلى رأسهم د.جابر عصفور، ود.شهرت العالم. فقد سعى المشروع دومًا وبدأب إلى ترجمة كل جديد وتقديم كل ما من شأنه أن يُحفِّز على التفكير والتأمل، ويدفع إلى الوعى ويشحذ الهمة ويقوى الذائقة النقدية من أجل الارتقاء بهذا الوطن، وما أعظمها مهمة..

مجدى عبد الحافظ

الأخلاق فى الفلسفة التطبيقية المعاصرة:
أخلاق الميديا عند بيير بورديو وكارل بوبر نموذجا[1]

توطئة:

السنوات التى نعيشها اليوم هى سنوات بعث حقيقى لموضوع الأخلاق. فالتجديد والتغيير المتسارع الذى يلحق بحياتنا كل يوم، يدفعنا رغمًا عنا إلى سؤال "الواجب" على الرغم من أنه سؤال ينتمى اليوم لحقبة الأخلاق الكلاسيكية، خاصة عند كانط، وهى أخلاق تعجز عن فهم الوقائع والمستجدات التى لا يفهمها، كما أنه لا يتوقعها. مع ذلك يظل سؤال الواجب يساهم بصورة كبيرة فى أن يصبح الحوار حول فلسفة الأخلاق هو إشكالية الفكر الفلسفى اليوم وليس الميتافيزيقا كما كان بالأمس. وما يُقال عن عودة الفلسفة فى الغرب اليوم، خاصة فى العقدين الماضيين، مرتبط لحد كبير بالفلسفة الخلقية[2]. ورغم هذه الحقيقة الواضحة فإن الذى نعانيه فى واقعنا هو تعقد هذا الحوار لحد كبير. فالتغيرات غير المسبوقة التى تلحق بمجتمعاتنا بوتيرة متسارعة أدت إلى أن نجد صعوبة حقيقية فى التنظير من جهة، وفى وضع المعايير والقيم

الأخلاقية التى يمكنها أن تضطلع بمسئولية الضبط والتأسيس لهذه القيم ذاتها كقاعدة يمكن الاعتماد عليها من جهة أخرى، بل وشككت فى أطروحة هيجل عن "بومة مينيرفا" التى لابد لها منذ الآن أن تتعود على الطيران فى الشروق كما فى الغروب، وفى أى وقت فى النهار؛ لأن فيلسوف الأخلاق إن أراد أن يكون فاعلاً فى لجان الأخلاق[٣] عليه أن يدلى بدلوه مباشرة دون تباطؤ أو انتظار، أو دون القياس على قاعدة سابقة. سيكون عليه إذن الموازنة بين النظر والتطبيق والتمتع بحكمة عملية. وإذا ألحقنا بهذا الحوار الدائر ظاهرة "العولمة"، ليس باعتبارها مفهومًا نظريًا فقط، ولكن باعتبارها فعلاً واقعيًا على الأرض يتأكد ويتحقق كل يوم فى حياتنا المعاصرة، فإن الأمور ستبدو أكثر تعقيدًا، حيث سيدفع العلم والتقنية بصورة أكبر إلى وحدة المجتمع المعولم، مما يجعل حاجتنا الجمة لمبدأ المسئولية تتزايد. إن النتائج التى أسفرت عنها تكنولوجيات العلم غدت أكثر من أى وقت مضى ذات تأثير كونى، مما دفع العالم إلى زيادة الاهتمام بسؤال الأخلاق عندما وضع مجمل العمليات التقنية التى تتم على كوكب الأرض فى موضع اتهام. ويرى كارل أوتو أبل **Karl Otto Apel** – بحق – أنه ليس فى استطاعة أية أخلاق تنتمى لمجتمع معين أن تجيب على أسئلة بهذا الحجم، خاصة مشكلات العولمة، فى مجالات الاقتصاد والتقنية.

ولعل ما ساهم فى تعقد مشكلة الأخلاق فى مجتمعاتنا المعاصرة، هو أننا تعودنا على الاستئناس والعيش فى كنف القيم الجاهزة، التى تأتى وكأنها المعالم الواضحة على طريق حياتنا؛ حيث كنا قد تعودنا على تأسيس القيم الأخلاقية بشكل يؤسس ويبرر لسلوكنا فى ظل قيم الحداثة المعروفة. إن استئناف تلك المهمة بنفس الخلفيات السابقة فى ظل قيم ما بعد الحداثة وإلحاحية وخطورة ما نواجهه من مواقف مما يدفع على الحسم باتخاذ مواقف حتى وإن لم تكن كل الخيوط واضحة إذا أمسكنا بها جميعًا. إذا حاولنا ذلك تصبح مهمتنا شاقة، إن لم تكن مستحيلة. وذلك لسببين: يعود الأول إلى طبيعة المجتمعات ما بعد الحداثية اليوم، خاصة فيما اتصل بالتحولات الكبيرة التى شهدها العالم المعاصر، فـأسقطت النظم الفكرية الكبرى أو ما يسمى بالحكايات الكبرى أو الأنساق المغلقة، مما دفع إلى التشظى والجزئية، وتراجع ما هو عقلى. ولعل فرانسوا ليوتار قد حدد من قبل - على سبيل المثال - هذه الحكايات الكبرى فى مذاهب القرن الثامن عشر الخاصة بتحرر المواطن، وفى فكر الأنوار الذى كان يرى فى التاريخ لاهوتًا عقلانيًا، ونظرية هيجل حول تشكل العقل فى العالم، إضافة إلى الماركسية وحلمها ببناء مجتمع خالٍ من الطبقات. وكأنها أفكار ظلت هى المرجع الأساسى الذى يحكم معاييرنا القيمية عبر سنوات طويلة...إلخ. والسبب الثانى أنه لأول مرة

ظهر جانب عملى تطبيقى فى فلسفة الأخلاق، بعد أن كان الجانب النظرى هو الأوحد عبر سنوات الحداثة. وهو ما أدت إليه مشكلات البيئة المتفاقمة، والتقنية العالية المهددة بأخطار غير مسبوقة فى مجالات الأخلاق البيولوجية والهندسة الوراثية والاستنساخ وزرع الأعضاء وثورة الاتصالات الحديثة...إلخ؛ مما قاد الإنسان إلى تخوف مشروع من تلك التقنيات الحديثة، التى تحددت خطورتها فى سياق جديد وعبر تغيرات كيفية للفعل الإنسانى؛ فتلك التكنولوچيات الجديدة ضاعفت من سلطات الإنسان على ذاته، فأصبح لأول مرة وبشكل عملى وليس نظرى: الذات والموضوع الخاضع لتقنياته. مما دفع بول ريكور Paul Ricoeur إلى إظهار تخوفه على وجودنا الموروث ذاته الذى أصبح موضع التساؤل. هذا الجانب المهم من الأخلاقيات التطبيقية، وثيق الصلة بقواعد السلوك القيمية التى لا يمكن اختزالها فى أخلاق نظرية بحتة. وذلك لأهمية الأسئلة المطروحة فى مجالات الأخلاق الطبية والبيولوجية وأخلاق السياسة والإعلام والمال والأعمال والاقتصاد والبيئة...إلخ. هنا تكمن أهمية هذه الأخلاقيات التطبيقية التى تعتبر فى حد ذاتها شاهداً على كم التحولات التقنية العظيمة التى عايناها فى السنوات الأخيرة، كما أنها تكشف فى الوقت نفسه عن حاجة العالم الماسة إلى قواعد أخلاقية جديدة تستجيب لتلك التغيرات الجذرية والمستجدات غير المسبوقة فى

واقعنا المعاصر. ومن هنا كان الدافع لإحداث نقلة نوعية فى مجال التأمل النقدى للأخلاق، بحيث أضحت مشكلات الواقع الفعلى موضوعات أساسية لمقارابات الفلاسفة، كما أضحت مواقفهم ومبادئهم التى يستندون إليها لإقامة حججهم فى متناول حتى العامة رغم صعوبة والتباس ما هو مطروح بل وارتباطه بمسائل تخص الإبستمولوجيا والأنطولوجيا؛ ذلك لأن الأخلاقيات التطبيقية سعى حثيث يحركه الخوف على مستقبل الإنسان من نتائج التقدم التقنى الخطير فى شتى المجالات على حياة البشر.

استجلاء حقيقة مفهوم الأخلاق:

ولكى نضع يدنا على هذه الأخلاق فى مجال الممارسة التطبيقية ينبغى الخوض فى مشكلة أخرى شديدة التعقيد ليس فى لغتنا العربية فحسب، بل أيضًا فى اللغات الأوروبية. فنحن فى لغتنا العربية لا نفرق بين Morale و Ethique فنترجم المصطلحين "بالأخلاق"، وربما لا نكترث كثيرًا بمصطلح Déontolgie، وهو ما يعنى لغويًا علم الواجب، أو كما أقوم بترجمته "ميثاق شرف المهنة".

منذ اليونان كان مصطلح Ethos / Ethique يُرد إلى آداب السلوك Moeurs والأعراف Coutumes، أى أنه كان لصيق الصلة بالاستخدام

الاجتماعي، وبكل ما يتصل بالأفعال الإنسانية من قيم ومقاصد؛ إذ كانوا يعتبرون أن الآداب والأعراف تصبح في الإنسان طبيعة ثانية Seconde nature في شكل عادات habitudes واستعدادات Dispositions[٤]، وهو ما سيؤكد عليه هيجل كما سنرى. كانت Ethique تعني لدى أرسطو علمًا عمليًا هدفه فعل الإنسان باعتباره كائنًا عاقلاً يهدف إلى الفضيلة في سلوك الحياة (وهو الخير الأسمى). ولدى سبينوزا كان يعني المصطلح أنه يحرر الإنسان من عبودية المشاعر ويعلمه أن يعيش سلوكًا عقليًا، معارضًا للأحكام المسبقة والخرافة، بالإضافة لاحتوائه على المعرفة التأملية لله، الجوهر الواحد الذي يملك ما لا يتناهى من الصفات ويقود للغبطة (وهو أيضا خير)[٥].

أما كانط الذي رفض منذ البداية كل أخلاق تخضع لتعريف مسبق للخير لكونها مرتبطة بشروط الممارسة الخاصة، أوضح أن ضرورة العقلانية تستوجب في ذاتها ضرورة ما للكونية، ليصبح الفعل الأخلاقي هنا صالحًا لكل إنسان، ومن ثم أصبح لعلم قوانين الحرية لديه شق إمبريقي هو الأنثروبولوجيا العملية، وشق عقلاني هو الأخلاق Morale بمعنى الواجب، وهو لديه قاعدة عقلية وكونية بالضرورة، بل ومباشرة[٦]، إلا أن واقعنا المعيش يلح علينا بمعايناته بأنه لا يمكن

الإقرار مع كانط بكونية كل المعايير والقيم أو أنها أخلاق لقيم نهائية. صحيح أن البعض منها له طابع كونى، لكن هناك معايير وقيمًا وضرورات أخرى اختيارية. ويمدنا أحد الباحثين بنموذجين كاشفين: فمبدأ "لا تقتل أبدًا" على سبيل المثال يفرض على الجميع لارتباطه بالأخلاق الكونية، بينما عبارة "يمكن أن تكون فنانًا، إذن يجب عليك أن تكون كذلك". الإلزام هنا يستند إلى قيم تتبناها الذات، أو مثل أعلى ترغب الذات فى الإخلاص له. الضرورة والإلزام هنا لا تعنى للذات أن الآخرين سيقومون باختيار ما اختارته(٧).

إلا أن التساؤل الذى يفرض نفسه هو : ألن تكون هذه القيم والمعايير الأخلاقية الاختيارية نوعًا من أخلاق فردية انعزالية تنسف هذه القيم ذاتها عندما تخرجها من فضائها الكونى وتجعلها رهينة للاختيار الذاتى؟ هذا ما لاحظه هابرماس واعترض عليه، فأطلق عليها "أخلاق الاستقلال"، بمعنى تلك الأخلاق التى تخص كل ذات على حدة، فى الوقت نفسه الذى اعترض فيه على "أخلاق تحقيق الذات" التى تخص كل منا، راغبة فى إعطاء معنى لوجودها، وذلك بحجة أن هذه الأخلاق تتمتع بوضعية إنسانية تتيح لها بأن تكون كونية(٨)، إلا أن الاعتراض السابق استند فى تأملاته إلى نوع من التفكير النظرى التقليدى الذى لا يقبل

عـقليًـا بـأن تتـشظى القـيم، ومن هنا ظل أمـينا للأخـلاق الكانطيـة الكلاسيكية، بينما فاته أن الواقع العملى فرض تلك المراجعة النقدية بما حمله من مستجدات غير مسبوقة فى واقع لم يعد هـو نفسـه بعد عصر كـانط. وهذه الأخـلاق الكونيـة، هل نتـصـور أنهـا سـتنطبق داخل مـجـال واحد؟ وهو مـا يجعلنا نتصور مدى صعوبة التطبيق، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن كل مجال يتسم بطابعه الخاص، وهو ما يؤدى فى الغالب للتصادم مع المضمون. ولعل هذا ما فطن إليه ماكس فيبر عندما تسـاءل "إذا مـا كـان فى العـالم ثمـة أخـلاق Ethique قـادرة على فـرض معاييرها الإلزامية، مطابقة لمضمونها الأصلى فى العلاقات الجنسيـة، والتـجـارية، والخـاصـة والعـامـة، وفى عـلاقـات الرجل بزوجـتـه، وببـائع الخُضَر، وبابنه، ومنافسه، وصديقه وعدوه، فى الوقت نفسـه"[٩]، إضـافـة إلى أن "أخـلاق تحقيق الذات"، وعلى الرغم من ذاتيـتـها المفرطة، فـإنـها موجـهة أيضًـا للجميع، ولا يمكن القفز عليها ما دامت ستـحقق توازنا نفسيًا للفرد، سينعكس بدوره على توازن المجتمع.

يقترب المصطلحان Morale و Ethique لحد كبير عند هيجل، الذى اعتبر الحياة الأخلاقية La vie ethique هى التحقيق الفعلى لفكرة الخير من خلال وحدة اللحظة الذاتية (الإرادة)، واللحظة الموضـوعيـة

باعتبار أن العالم الخارجى يُطبع بافعال الإرادة (الآداب) moeurs . تكمن الحياة الأخلاقية لديه إذن فى المطابقة بالموروث الاجتماعى والأعراف العقلية. ويؤكد هيجل فكرة أن الآداب والاعراف تصبح فى الإنسان طبيعة ثانية فى شكل عادات وهيئات ثابتة، آخذًا على كانط نزعته الأخلاقية الصارمة[١٠]، إلا أن معضلة هيجل هى الظن بأن أخلاق كانط هى أخلاق السعادة، وفى الحقيقة - كما يرى عديد من الباحثين - لم تكن أخلاق كانط إلا أخلاقًا للتميز؛ حيث إن الفعل الأخلاقى لديه لا يجعل الإنسان سعيدًا. ولكنه (الفعل) يعمل على أن يفخر الإنسان بكونه إنسانًا[١١]. والمشكلة الحقيقية للمصطلح، والتى جاءت مع كانط هى التى تكمن فى نزعته الصورية؛ فالقانون الأخلاقى لا يقول شيئًا عما ينبغى فعله هنا والآن ici et maintenant بينما ما يريد قوله هو: بأى معيار صورى (الكونية) ينبغى إرضاء مبدأ الفعل الأخلاقى[١٢] أو المطابقة مع الواجب الأخلاقى باعتباره قانونًا مطلقًا - رغم تحفظنا على تلك الإطلاقية؟ إن تطبيق هذه القاعدة الصورية على مواقف فعلية يصبح إشكاليًا؛ فثمة ظروف يبدو فيها الاختيار مستحيلا أو على أقل تقدير صعبًا، ثمة ما أسماه بول ريكور: (صراعات الواجب) يواجهه القانون الأخلاقى ويقف عاجزًا عن حله[١٣]، وبول ريكور الذى أراد حل تلك الإشكالية تصدى لمعارضة أطروحات أرسطو وكانط عندما قام بتعريف

Ethique من وجهة نظر غائية؛ إذ يرى أن الخير يكمن فى غاية مقصودة لما هو جدير بتأملنا، معتبرا وجهة نظر كانط - على عكس ما رأينا - ديونطولوجية أى تعترف بالأخلاق المهنية؛ حيث إن التجربة الأخلاقية Morale باعتبارها تجربة فعل ضرورى فى ذاته لا تكشف عن حكم ما. وسيطرح الهدف الأخلاقى Ethique بحكم علاقته بالموروث الاجتماعى مشكلة العدالة، وسيواجه الواجب الأخلاقى Morale فى شكل من المنع Interdiction أو التحريم، وسيتحقق فى حكمة عملية(١٤).

من هنا وعلى عكس ما تعتقد الباحثة الفرنسية ريس التى ترى أن Ethique أكثر نظرية من Morale بمعنى أن التعبير الأول - فى نظرها - يتجه بشكل كبير نحو تأمل قواعد الأخلاق Morale بحيث تعمل على تفكيك قواعد السلوك التى تشكل الأخلاق Morale والحكم على الخير والشر(١٥). على عكس ذلك سنرى أن Ethique أكثر قربًا من القيم المحددة بسلوك الأفراد فى حياتهم المعيشة أى تميل مباشرة «للهذا والآن»، بينما Morale (التى تعنى فى اللاتينية mores أى Moeurs آداب السلوك وخاصة من Moralis المترجمة عن Ethikos اليونانية) ستمثل القيم المتعالية الموضوعة فى قانون بصرف النظر عن السياق. إنها إذن نوع من التأمل حول المبادئ، وليست كما كانت تعتقد ريس "تود أن تكون

مهدمة ومؤسِّسة ومبشِّرة بمبادئ وأسس نهائية، وذلك عن طريق بُعدها الأكثر نظرية من خلال رغبتها فى العودة للمنبع"(١٦)، وعلى هذا ربطت ريس بين Ethique والنظرية والتأسيس وقواعد الوصفات والأحكام الأخلاقية moraux . من هنا ستعنى Ethique إذن وهى المتصلة بالأخلاق التطبيقية – كما عايناها – بمواقف الحياة العملية باللجوء لحكمة ما عملية تنزع عن فكرة الخير صوريتها عند تقدير الفعل، إنها عبارة عن تأمل تطبيقى – إن صح التعبير – على بعض المواقف الخاصة، وهنا ستكتسب Ethique فى ارتباطها بالتطبيق أهمية عندما ترتبط بالنظر والعمل معًا، وعندما تتخذ موقفا أخلاقيًا وتطرح تساؤلات أخلاقية. تكتسب شرعيتها إذن فى ارتباط الممارسة؛ بالمعايير والمبادئ التى تقف وراء الفعل الذى نقوم به فى الممارسة، فهى تقوم بتحليلات تأملية للقيم وتعيد التناول النظرى للممارسات ومعايير السلوك، وهى غالبًا ما تحيل إلى أخلاق بديلة وغير تقليدية(١٧).

من هنا تصبح رؤية الباحثة ريس Russ من أن Ethique هى "مجموعة القواعد الخاصة بثقافة ما، وأيضًا مذهب ما وراء أخلاقى métamorale(١٨)، باعتبارها نظرية مفكر فيها حول الخير والشر والقيم والأحكام الأخلاقية؛ أى أن Ethique تقوم بتفكيك قواعد السلوك

والبنيات وقواعد التأسيس لكى تغوص حتى تصل إلى قواعد الإجبار المختبئة. تصبح هذه الرؤية إذا بعيدة عن المنحى الذى قمنا بتبنيه هنا، وربط الممارسة بالمعايير والمبادئ أو تحليل وتأمل القيم؛ أى إعادة التناول النظرى للممارسات لا يمنع أن هناك مخاوف كثيرة من لجان الأخلاق التى تقوم بهذا العمل؛ إذ إن هذه اللجان والعناصر التى تشكلها - كما يرى بعض المراقبين - تعطينا الانطباع بطابع تكنوقراطى أو تقنى، مما يجعلنا نتخوف من إمكانية الانحراف البيروقراطى. ففكرة أن الخبراء سيقررون (وهى متصلة بأزمة الحداثة) تجعل فى الأفق دائمًا ثمة خطر محتمل من نزعتى العلمية والتقنية، وهما ضد الأخلاق على طول الخط. أكثر من ذلك فإن أحد الباحثين يوصى بضرورة عدم استخدام تعبيرى Morale أو Ethique وحدهما ولكن دائمًا بتخصيصهما أو بإضافتهما لمصطلح آخر يصاحبهما ويخصصهما، أى لا نقول "أخلاق" فحسب، ولكن "أخلاق كونية" أو "أخلاق ذاتية" على سبيل المثال(١٩). ولا ينبغى أن نفهم أن التمييز الذى قمنا به بين المصطلحين قد تأسس على الاشتقاقات اللغوية أو الاعتبارات التاريخية فحسب، بل يمثل حاجة ماسة أيضًا فى الواقع للتعبير عن الهموم والأسئلة الجديدة المثارة.

هنا سينبغى النظر فى مصطلح Déontologie، فكما أسلفنا هو علم الواجب كما قام بتعريفه ليتريه Littré[٢٠]، أو ميثاق شرف المهنة كما ترجمته، وهو ما يعنى الواجبات والأعراف المحددة التى تفرضها المهنة على من يقومون بممارستها؛ لذا نجد عديدًا من مواثيق الشرف تلك بعدد المهن المختلفة، وهى تعبر عن قوانين فى شكل قواعد لمواثيق شرف مهنى فعلية، يعمل احترامها على الحفاظ على المستوى الآخلاقى فى ممارسة المهنة، وقد دخل المصطلح لأول مرة مع قانون قدمه عام ١٩٤٥ رئيس نقابة الأطباء بفرنسا Ordre des Medecins، وأصبح قانونًا فى عام ١٩٤٧ . وأخذ المصطلح يتردد تباعًا فى المهن الأخرى[٢١]؛ حيث تجمع فيها الحالات التى يقابلها ممارس المهنة، وهى تتصل بمعايير كثيرة بعضها يتعلق بالضمير، والولاء والانتماء للمهنة، كما ترتبط بعقوبات توضع للمخالفين، تتصل بالتشريع المهنى، والمنازعات داخل المهنة، مع ذلك فهناك صعوبة كبيرة فى صياغة قواعد تحكم السلوك فى قوانين كاملة. ورغم أن هدف ذلك الميثاق منفعة أعضاء المهنة فإنه يؤدى فى الوقت نفسه لمنافع اجتماعية عديدة[٢٢].

لكن السؤال الملح هنا: ما الفارق إذن بين Ethique كما عرفناها وبين Déontologie؟ خاصة إذا كان حقل كل منهما هو المواقف العملية والجزئية فى الواقع المعيش:

١- مع أن Ethique تتسم بالجزئية باعتبار أنها تعمل فى مجال محدد، فإنها ذات طابع عريض، فتطرح على نفسها أسئلة تتصل بعلاقة هذا الجزء الذى يتسم به مجالها بحياة الإنسان والعالم، والاتسام هنا بالجزئية تأتى باعتبارها تعمل فى مجال محدد كالبيئة، أو البيولوجيا أو الأعمال أو السياسة، وغيرها، وكل منها يمثل مجالاً محدداً. وهى ذات طابع عريض ؛بمعنى إذا أخذنا مجال البيئة كمثال فسوف نجده يتسم بطابع عريض فى المعالجة؛ فالبيئة تشمل المصادر الطبيعية، والغازات المحيطة بالأرض، والتنوع الحيوى، وحالة الغابات والأنهار والبحار...إلخ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتسم معالجة هذه الموضوعات بتدخل علوم شتى لفهم الظاهرة البيئية مثل علم الظواهر الجوية Météorologie، والفلزات، والكيمياء، والبيطرة، والطبيعة...إلخ، إضافة إلى مجموعة أخرى من العلوم النظرية كالقانون لمعرفة الأبعاد القانونية لتلافى التشريعات القائمة وتطويرها لتتواكب مع التغيرات الجارية، والاقتصاد الذى يدخل فى حساب التكلفة المفترضة لبعض الظواهر البيئية، كحساب حجم تلوث مصدر مائى نهرى أو بحرى وغيرها من الظواهر.

فيما يتعلق بميثاق شرف المهنة Déontologie فهو يتسم أيضًا بالجزئية؛ حيث يقتصر على مجال مهنى محدد. ومن الممكن أن تشترك أكثر من مهنة فى دراسة موضوع معين، ومع ذلك لا يخرج هذا الموضوع عن إطاره المحدد، فالأسئلة المطروحة تظل تتصل بممارسة

فصيل محدد من الأفراد أصحاب المهنة الواحدة أو أصحاب مهن أخرى، فمن الممكن -على سبيل المثال - أن يناقش موضوع "الطفولة والمراهقة" فيقوم بنقاشه ودراسته نقابات الأطباء، والمحامون والعاملون بالخدمة الاجتماعية. فرغم اختلاف أصحاب المهنة فإن الموضوع يظل محدداً وذا طبيعة دقيقة.

٢- ليست هناك قواعد أخلاقية معروفة سلفًا للـ Ethique فهى تتعامل مع اللامتوقع L'imprivisible، وغير المعروف فى ظل ظهور تكنولوجيات جديدة أدت لتراجع شديد لسلطات الإنسان على تقنياته التى كان يمتلكها، وهو ما أدى إلى ما يطلق عليه علماء الأخلاق "بالفراغ الأخلاقى" La vide éthique الذى يعنى غياب معالم كلاسيكية قديمة يمكن أن تؤطر رؤيتنا المعاصرة، أو قادرة على تأطير تلك الرؤية، فالقواعد الكلاسيكية القديمة الأنطولوجية والميتافيزيقية والدينية لم تعد تفى بحاجة أخلاق اليوم؛ حيث نجد أنفسنا مطالبين باتخاذ قرار ما ونحن لا نمتلك كل العناصر العلمية المؤكدة حول الخطر الذى نواجهه، فالقرار هنا ليس مجرد تطبيق لمعرفة علمية أو لقيمة أخلاقية معروفة، بل يستدعى معايير أخلاقية جديدة، مع الحيطة واليقظة. بينما فيما يتصل بالـ Déontologie فإن القواعد التى ستطبق معروفة سلفًا ومتفق عليها مواضعة، وهى تتكرر باستمرار؛ فالقرار مجرد تطبيق لنصوص وأعراف موجودة سلفًا ضمن بنود ميثاق شرف المهنة.

٣- تظل الـ Ethique فى حاجة دائمة إلى التخصصات الأخرى، التى لا يمكن الاستغناء عنها على الإطلاق - كما أوضحنا - فمشاكل البيئة على سبيل المثال ينبغى أن تعالج من خلال علوم عملية وأخرى نظرية، وتظل هذه المشكلات غير مفهومة، أو محددة الفهم من قبل دارسيها بدون مساعدة مناهج التخصصات الأخرى. وهذا على عكس الـ Déontologie التى لا تقتضى بالضرورة التخصصات الأخرى، فيمكن التنسيق مع التخصصات الأخرى حول موضوع محدد، كما يمكن الاستغناء عن هذا التنسيق دون أن يغير هذا شيئًا، ولا يؤثر كثيرًا فى القرار الذى يتم اتخاذه.

٤- ليس للـ Ethique حدود معينة؛ فهى تهتم بالبشر والطبيعة وحتى الحيوانات، وتعامل جميع هذه الموضوعات باعتبارها شريكة الإنسان فى الوجود. ومن هنا يمكن أن تصل بنا إلى نوع من البيولوجيا المركزية أو يمكن أن تصل بنا أيضًا إلى أخلاق مغلقة على البيئة، ولعل هذا عكس ما للـ Déontologie التى تقف فى حدود ما هو آدمى ولا تتعداه، أى تنحصر فى فضاء الذين يمارسون مهنة بعينها، ولا تخرج عن هذه الحدود الآدمية.

٥- فيما يتصل بالاختصاص؛ فالأخلاق الطبية Ethique Médicale على سبيل المثال، والتى تمارس عملها عن طريق اللجنة

الاستشارية القومية للأخلاق تنحصر مهمتها فى التفكير فى المشكلات الأخلاقية التى يعالجها ويواجهها البحث، بينما تعالج Déontologie المسائل الأخلاقية التى تطرحها الممارسة ذاتها، فمثلاً ميثاق الشرف الذى يخص نقابة الأطباء يقوم بمعالجة المسائل الأخلاقية التى تفرضها الممارسة الطبية، وهنا تمارس سلطة العقاب على الأطباء الذين لا يحترمون ميثاق شرف المهنة.

ولعل ارتباط مشكلة الأخلاق بثورة الاتصالات هنا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بهذا الجانب التطبيقى من فلسفة الأخلاق. ففى ظل التغيرات التى تحدثنا عنها زاد الاعتماد بشكل كبير على وسائل الإعلام (الميديا) التى أضحت تشكل توجيهًا لا يُستهان به فى أوساط الرأى العام، مما جعل من تلك الأجهزة سلطة كبرى فوق سلطات المجتمع المعروفة، بل وخطرًا حقيقيًا على مبدأ الديمقراطية الذى ظل المبدأ الحاكم حتى الآن فى المجتمعات المعاصرة؛ إذ كيف يمكن أن يكون للديمقراطية جدوى فى ظل هذا السيل الكاسح من المواد الإعلامية التى تدخلت فى صميم إعادة صياغة حياة الإنسان المعاصر، بل وهيمنت على سلوكه وتصرفه – وأخطر من ذلك – بشكل أعاد صياغة خيالات الإنسان وأحلامه وطموحاته.

وسائل الإعلام أو الميديا هى ما تملأ حياتنا اليومية منذ استيقاظنا صباحًا وحتى نومنا مساءً، فنجد ما نختاره بأنفسنا وما

يقحم نفسه علينا، ولا رادَّ لقضائه (المذياع والتلفزيون، والجريدة ووكالات الأنباء، والدعاية والإعلان فى الشوارع، والجرائد والمترو، وعلى أغلفة ما نشتريه ونستهلكه، وفى السينما، ومعلومات النت...إلخ) فتمتلئ الساحة العامة L'espace public بكثافة غير معهودة فى عملية واسعة لتبادل الدلالات تؤثر بشكل كبير، بل تخترق المجالات الخاصة بالأفراد مما يدفع إلى تساؤلات أخلاقية مشروعة عن المسئولية الأخلاقية، واحترام أفراد المجتمع ومسئولية تلك الأجهزة تجاه الانحرافات التى تحدث أو تتكرر داخل محيط اختصاصها. كثيرًا ما رددنا ما كان قد توصل إليه مكلوهان Mcluhan بأن الميديا ستعمل على أن تزداد علاقتنا بالعالم زيادة هائلة، وبأن الأرض ستصبح من جراء هذا "قرية كونية"، إلا أن الميديا على العكس من ذلك لم تحاول أن توسع من قدر معلوماتنا أو فى قدرتنا على الاتصال، بل أثرت تأثيرًا سلبيًا على علاقتنا نفسها بالعالم، وأصبح الإنسان تائهًا اليوم فيما بين الحقيقة والخطأ، والعدل والظلم، والجمال والقبح؛ لأن مراكز حساسيته التى كان يمتلكها قد تعطلت بفعل هذه الماكينة الإعلامية المشوشة؛ حيث تمارس ضغطًا صوريًا على الرسائل الموجهة مؤثرة على محتواها، فتدفع بالمتفرج ناحية انفعال معين أو تثبط من عزيمته على التأمل والتفكير كما يرى نيل بوستمان Neil Postman فارضة إيقاعًا لتتابع المعلومات والصور لا نستطيع معه أن نقوم بتحليلات عميقة كما وضح لنا ريجيس دوبريه

Regis Debray وغير ذلك من الانتقادات التى أدت إلى التساؤل اليوم حول ميلاد ما يسمى "بمجتمع الاتصال" حسب ما يطرحه إيريك نيفيه Eric Neveu . ولما كان التليفزيون هو إحدى وسائل الميديا الأكثر تأثيرا مما أضحى يشكل اليوم ظاهرة لا يمكن تجاهلها فإن هذه المقدمة - الدراسة تتخذ منه نموذجاً فى مناقشة القضايا المطروحة، إذا أردنا بحق أن نناقش الأخلاق فى الفلسفة التطبيقية، لعلنا نعثر على إمكانية ما للوصول إلى ميثاق أخلاقى لوسائل الإعلام.

التليفزيون:

تكمن خطورة هذا الجهاز فى أنه أصبح الأكثر انتشاراً فى أوساط المجتمع بطبقاته وطوائفه المختلفة؛ إذ لم يعد حكراً على طبقة بعينها كما كان من قبل وقت ظهوره، كما أنه أصبح شديد الهيمنة على المجتمع بجمعه بين السمعى والمرئى، وبتقديمه صورا للأحداث بشكل متدفق وسريع "فالسرعة التى تبث بها الصور الفظيعة بشكل مكثف تشجع على الإثارة، والانفعال وغياب المسافة التى نضعها بيننا وبين الحدث. فالأحداث إلى حد ما لا تصل إلى الوجود إلا بقوة الصورة"[٢٣].

ويعمل هذا التدفق السريع للصور على التشويش على إمكانية الفهم أو التحليل العميق لما يحدث، أو حتى تكوين وجهة نظر خاصة إزاء الأحداث الجارية، أو حتى مجرد إعمال العقل تبعا لقواعد نظرية

استرشادية فيما يُقدم إلينا من صور محملة بعديد من الرسائل والشفرات بل والدلالات التى نقف أمامها عاجزين بفعل هذه السيول الكاسحة من الرموز والشفرات. ويرى دومينيك ولتون Dominique Wolton بأن التليفزيون أصبح هو مكون الأنثروبولوجيا اليوم، والصورة اليومية التى أضحت جزءًا من عصرنا تملؤها غالباً المعلومات المغلوطة(٢٤). وهو الشيء الذى أثار جى ديبور Guy Debord منذ أواسط الستينيات حينما تحدث عن فيضان الصور الذى يقدم لنا كل شيء، ويوجه لنا تبعًا لرغباته مما دفعه لوصف هذه الحالة "بمجتمع المشهد"(٢٥).

كما حلل ريجيس دوبريه Regis Debray فى كتابه «السلطة الثقافية فى فرنسا» Le pouvoir Intellectuel en France فى سنة ١٩٧٩ تأثيرات الدور الإعلامى على الدور التحريرى والجامعة، وكذلك أنطوان جرابون A.Garapon الذى ضاعف التحذيرات منذ عدة سنوات حول خطر نزع العدالة عن الميديا، وعديد من الندوات سمحت للصحفيين والنقاد من كل حدب وصوب بأن يحللوا التداخلات المختلفة لوسائل الإعلام فى هذه الحقول المختلفة(٢٦).

إن علوم الإعلام والاتصال تعلمنا أن أى تحليل للتليفزيون لكى ينجح ويكون مجدداً ينبغى أن يعمل متضافراً على الأقل مع مقاربة سيميولوجية، وبراجماتية، ومنهجية كما يقول دانيل بونو D.Bougnoux:

فالسيميولوجيا ستهتم - على سبيل المثال - بعلاقات الصورة والنص، وبالنسبة للصور مثلما هو الحال للأصوات فى وظيفتيهما الإرشادية، حيث ينتج عن هذا بعض من آثار الواقع الأكثر حيوية (وهو ما كان يسميه بارت Punctum Barthes (النقطة الفاصلة)[٢٧]. ويؤكد بونو أن البرجماتية ستهاجم تعدد الأصوات الناطقة برسائل متلفزة: تلك التى تتحدث من خلال الشاشة الصغيرة، عن النص، والصورة، والمذيع، والتحرير، الأستديو، والقناة... إنها لن تستطيع اليوم كما يؤكد بونو إقامة حجر على أسرار الاستقبال؛ لأن كل مشاهد ليس بالضرورة مغتربا aliéné بقمع البرامج، إنه ينقى ويوائم هذه البرامج تبعا لحدود ومعايير "عالمه الخاص".[٢٨]

كما يرى أخيرًا أن مقاربة علم الاتصال Médiologie تأخذ فى اعتبارها مادية الأشكال والحوامل التى ينتج عنها قواعد صرفية للرسائل التى تعمل على أن يصبح زمكان التليفزيون ليست لديه علاقة بزمكان المدرسة أو البرلمان أو المؤسسة القضائية؛ حيث يتفاعل مع مبررات عقلية[٢٩].

ويرى بونو أيضًا أن المشهد التليفزيونى يتميز عن السينما أو المسرح أو عن منبر الكوليج دى فرانس، ويحكم عليه بداية من هذه المشاهد الأخرى، ولا يمكن إلا أن يظهر مغلوطًا تمامًا، دون أن يكون

خاليًا مع ذلك من الفضائل الجمالية، والأخلاقية أو ببساطة المدنية. ويتساءل أخيرًا عمن يكيلون للتليفزيون الانتقادات بشكل دائم بأنه قد أضعف اللحمة الاجتماعية: هل سألوا أنفسهم إذا ما كان المرح الناتج عن نجاح المونديال (كأس العالم) يمكن أن يكون ممكنًا بدون نقله المباشر بالتليفزيون؟[٣٠]

بيير بورديو:

يبدأ بورديو[٣١] بمطالبة الفنانين والكُتّاب والعلماء بأن يطرحوا على أنفسهم بشكل فردى أو حتى جماعى ظروف موافقتهم أو رفضهم الذهاب إلى التليفزيون واشتراكهم فى برامجه، وهذه الأسئلة من قبيل: "هل هناك شىء يُقال؟ هل هو فى وضع يسمح له أن يقول ذلك؟ هل يستحق ما يقول أن يُقال فى هذا المكان؟ باختصار ما الذى يفعله هناك؟"[٣٢].

ويكشف بورديو فى كتابه عما يسمى "بالرقابة الخفية"[٣٣]. وهى التى تمارس على المدعوين ومقدمى البرامج أنفسهم لخوفهم من مواقعهم من جهة، وتحكم الشركات والمعلنيين من جهة أخرى "المحددات الاقتصادية" مما يجعلهم (المدعون ومقدمو البرامج) خاضعين للتلاعب والتأثير، وهو ما يمارسوه بأنفسهم أيضًا فى أكثر الأحيان على الآخرين. وهو ما يؤدى إلى العنف الرمزى الذى يمارس بتواطؤ ضمنى

من المشاركين فى تلك اللعبة.

حجب المعلومات[٣٤]: وهو ما يقرنه بالأشياء التى نخفيها عن طريق عرضها عندما نعرض شىء آخر ما ينبغى عرضه، ويتفنن الإعلاميون فى هذا. عندما يضخمون أو يقللون من شأن الحدث؛ حيث يمارسون فى هذا عملية اختيار ثم عملية تركيب لما تم إختياره، أو عندما يغلبون اختياراتهم النسبية، وهو ما يعقبه مخاطر سياسية. وهذه القدرة على الاستدعاء لها تأثيرات ونتائج تعبوية، وهو ما يتطلب دائمًا بناء اجتماعى للحقيقة قادر على ممارسة تأثيرات اجتماعية؛ إذ يمكن أن يؤثر التليفزيون بنفس القدر الذى تؤثر به مظاهرة من ٥٠ ألف شخص.

الانسياب الدائرى للمعلومات[٢٨]: هناك منافسة تحدث فى عالم الصحفيين المنقسم على ذاته فى العمر والمكان والخبرة والقرب من مصادر المعلومات، إلا أن التشابه يعترى منتجاتها جميعًا، وذلك لوجود آليات يتم تجانس الموضوعات وتشابهها من خلالها.

وهى أن تتحدث الصحف عن شىء لمجرد أن صحيفة أخرى تحدثت عنه أو خلق فروقات طفيفة بين قنوات التليفزيون لا يشعر بها المشاهد، وهو ما يسميه بورديو بلعبة "المرايا العاكسة"؛ مما يدفع إلى الانعزال والانغلاق العقلى.

ويتحدث بورديو عن قياس نسبة الإقبال على مشاهدة القنوات Audimat، والذى أضفى عليه الشرعية، وأصبح للصحفيين المهووسين به ذوو "العقلية الأوديماتية" يمثل الحكم الأخير؛ حيث أصبح معيار الحكم هو "النجاح التجارى"، والذى يفرض نفسه على الإنتاج الثقافى، وهو منطق يفرض نفسه ليس بالتليفزيون فقط، ولكن لدى الناشرين الطليعيين وداخل المؤسسات العلمية.

النقود والتفكير السريع[٣٦]: تأخذ المنافسة بين القنوات المختلفة شكل منافسة تأتى من أجل السبق والإثارة، وهو ما يفرض على المشاهد، ما فرض قبلاً على منتجى البرامج التليفزيونية بسبب هذه المنافسة ذاتها. ومن ثم فإحدى المشاكل الكبرى التى يطرحها التليفزيون هى مشكلة العلاقات بين التفكير والسرعة، وهو يدان فيه التليفزيون الذى يستعين بمفكرين أجبروا على أن يفكروا بسطحية؛ حيث يأتى تفكيرهم بنفس سرعة الحدث، مما يجعلهم يقعون فى الأفكار السائدة والشائعة. وهو ما يطرح تساؤل حول إذا ما كانت ظروف التلقى قد تم استيفائها. ولعل هذا نفسه ما جعل بورديو يقول فى موضع آخر: "ينبغى دائما مراجعة أننا عندما نذهب للتليفزيون لكى (وفقط لكى) نفهم الطابع الخاص لهذا الجهاز على اعتبار أنه يسمح بالتوجه لأكبر عدد، إذن فلكى نقول أشياء تستحق أن تقال لأكبر عدد"[٣٧].

ندوات حقيقة زائفة أم حقيقة ومزيفة[٣٨]: وهو ما يحدث من ندوات يعرف كل مشترك فيها الآخر بشكل حميمى وإن كان يبدو مختلف معه أثناء الندوة، وهو ما يجعل الناس فى مناطق أخرى غير العاصمة يصلون إلى قناعة أن هذا العالم مغلق أمامهم؛ فهى ندوات حقيقة زائفة. وهناك الندوات الحقيقية بطريقة زائفة عندما يتأمل بورديو فى المستوى الأول الدور الذى يلعبه مقدم البرنامج، وفى المستوى الثانى تركيب البلاتوه نفسه الذى يعطى صورة عن التوازن الديموقراطى، والاستعدادات التى تتم عن طريق المحادثات التحضيرية مع المشاركين، إضافة إلى منطق لعبة اللغة المستخدمة نفسه.

توترات وتناقضات[٣٩]: هناك التوترات التى يرصدها بورديو بين من يريد فى عالم التليفزيون حماية القيم الاستقلالية. وبين الذين يخضعون للضرورة ويقبضون مقابل ذلك، مستخلصًا أن التليفزيون ننخدع أمامه بالشركاء الاجتماعيين بكل ما يتمتعون به من مظهرية الأهمية والاحترام والاستقلالية ما هم إلا دمى لبنية يجب التحلل منها وإخراجها إلى النور.

وهكذا يجد بورديو فى عالم التليفزيون حقلاً يميز فيه بين فاعلين مهيمنين، وفى الوقت نفسه مهيمن عليهم من قبل منتجى برامج مما ينزع

عنهم الوعى النقدى والإبداعية. وإذا ما كان هذا الحقل قد حقق جاذبية فى مستواه السمعى البصرى، إلا أنه لم ينجح داخل حقول أخرى. ومن جهة نظر سوسيولوجية يرى بودريو فيما يقدم على الشاشة الصغيرة "ثورات رمزية، حيث يعمل الفنانون والعلماء والأنبياء الكبار (...) على لمس البنيات العقلية، بمعنى يقومون بتغيير طرقنا فى الرؤية والتفكير"(٤٠). والحقيقة أن معالجة بورديو تلك كانت معالجة وصفية تحليلية، حاولت كشف الستار عما يدور خلف الشاشة الصغيرة، بحيث كشفت لنا عن أوجه التلاعب والتضليل الذى يمارس على مستخدمى برامجها. بمعنى أن هدف مقارباته لم يكن إلا التأكيد على طبقية المجتمع على المستوى الثقافى، وسطحية ما يقدم. وبالتالى اختفت من معالجته الأبعاد الأخلاقية؛ حيث تمت مصادرة على المطلوب منذ البداية لديه، وهى البدء بأدانه كاملة على المستوى الأخلاقى لأداء التليفزيون لتغليبه فى وظيفته تلك الهيمنة الطبقية الثقافية. ومن ثم كانت الانتقادات التى وجهت له على مستوى الأداء التقنى ولم تتعداه إلى المجال الأخلاقى، وهو على العكس من كارل بوبر الذى اهتم بالموضوع داخل سياقه الأخلاقى رغم أنه قد خلط بين المستويات الأخلاقية كما سنرى فيما بعد.

ومن هنا كانت الانتقادات الموجهة لبورديو على نفس هذا المستوى التقنى كما سنرى لدى بونو وولتون.

وينتقد دانيال بونو D.Bougnoux بورديو فيرى أن بورديو يقول عن نفسه بأنه يدافع عما هو إنسانى ويستدعى من أجل ذلك بإصرار العلم، إلا أن كتاب بورديو عن التليفزيون يتركنا بعيداً عن مسعاه هذا. فحول مشكلات معقدة إلى هذا الحد فإن منطق وتأثيرات الميديا، وإنقاذ ذلك الإنسانى يتطلب حد أدنى من الجدارة فى النقاش، ومن الإطلاع على الأعمال الأخرى التى كتبت حول الموضوع. ثم مشكلة النبرة، فبورديو يصبح غير واضح. عند فتح كتابا لبارت أو دريدا فيحملنى الأسلوب، ولا أدرى أين ستوصلنى الجملة. مع بورديو للأسف كل شىء أصبح متوقعاً(٤١).

كما ينتقد دومينيك وولتون Dominique Wolton بيير بورديو حول نفس الشأن (أطروحة حول التليفزيون) بأن مفهوم بورديو حول الاتصال اختزالى، وهو يخلط بين الاتصال communication والنقل Transmission. وهو يعتقد أن المستقبل كل ما يرسل له وبدون تعديل لرسالة المرسل، وأنه ليس هناك فوارق بين نية المرسل والاستقبال؛ لأن كل الأبحاث فى علوم الاتصال تبين أنه ليس ثمة نقل مباشر للرسالة أبدا. أنه أكثر من ذلك حقيقة اليوم أن ثمة إسرافًا فى الرسائل من كل نوع. وإذا ما كان هناك ظواهر للفرض أو للهيمنة فنحن لا نعرف أبداً عندما نقوم بإرسال رسالة ما كيف سيفسرها المستقبلون، وأخيراً كيف يعاد تشفيرها. نعرف كلما سيكون هناك مسافة بين المستقبل والمراسل.

فالمستقبل يقاوم، ويضع أمامه عددا هائلا من المصفاة لكى يحتفظ بعقله الحر. إن الأطروحة القديمة التى تقول بسلبية المستقبل يستعيدها ضمنا بورديو ومدرسته، وهى ما تكذبها الوقائع، إلا أنها تسمح بأن يطبق داخل حقل الاتصال تأكيد الاغتراب وهيمنة الفاعلين، وهى واحدة من أهم ما يستند عليه البناء النظرى لبيير بورديو[٤٢].

كارل بوبر:

تمسك بوبر[٤٣] بالمنهج العلمى والتواضع طيلة حياته؛ إذ يرى "إن البحث العلمى هو أفضل ما لدينا من مناهج للحصول على المعلومات عن أنفسنا وعن جهلنا. إنه يقودنا إلى التبصر المهم، القائل إننا قد نختلف كثيرا بالنسبة للتفاصيل الطفيفة فيما قد نعرف، لكننا جميعا متساوون فى جهلنا المطلق"[٤٤]

ويقر بوبر نفسه أن كل أعماله الفلسفية ترتبط بمشكلات غير فلسفية "تتجذر المشكلات الفلسفية الحقيقية دائما فى مشكلات ملحة خارج الفلسفة وهى تموت إذا ما فسدت هذه الجذور"[٤٥]، وهو السر فى تصديه للعديد من المشكلات الاجتماعية الملحة. وإذا كان بوبر يعتقد فى "أن المهمة الرئيسية للفلسفة هى التأمل النقدى فى الكون وفى موقفنا من الكون. بما فى ذلك قدرتنا على المعرفة وقدراتنا على الخير والشر[٤٦]، إلا

أنه يرى مع ذلك أن على المفكر مـهـمـة لابد من أن يضطلع بهـا وهى التعبير الواضح، واختيار المشكلات الكبرى للبشر" إن مهمة كل مفكر أن يدرك الموقف المتميز الذى يحتله. إن من واجبه أن يكتب بأبسط وأوضح ما يستطيع، بأفضل صورة متحضرة ممكنة. لا يجب أبدًا أن ينسى تلك المشاكل الكبرى التى تكتنف البشر، والتى تحتاج إلى فكر جديد جسور وحليم"(٤٧). ولعلنا إذا فتشنا فى أفكار بوبر يمكن أن نعثر على جذور لهذه الفلسفة الخلقية التطبيقية؛ حيث أهتم لحد بعيد بما يسميه "التبصر السقراطى" والخاص بمقولة سقراط الشهيرة "إننى أعرف أننى أكاد لا أعرف شيئا، وحتى هذا أكاد لا أعرفه"، وهى مقولة يستعيرها بوبر ليعيد تثمينها ليدافع بها عن التسامح فى عالمنا اليوم، ولا يخفى على أحد المردود العملى التطبيقى لتلك المقولة التى يستخرج منها بوبر ثلاثة مبادئ إبستمولوجية وأخلاقية على النحو التالى:

١- مبدأ اللاعصمة: وهو احتمال الخطأ والصواب فى شتى الآراء.

٢- مبدأ الجدل العقلى: وهو محاولة إختيار أحكامنا لتتناسب مع قبول أو رفض نظرية ما بعينها واضحة وقابلة للنقد.

٣- مبدأ الإقتراب من الحقيقة: وذلك عندما نتفادى ما يعوقنا لفهم أفضل كالهجوم الشخصى وغيره.

وينتج عن المبادئ الثلاثة نقاشا عقليا حيا، وتعلم حقيقى لنا حتى لو لم يؤد هذا اتفاق ما، فلربما يؤدى هذا لإكتشافنا لأخطائنا. ويستنتج بوبر من هذا أن أساس العلم يستند على المبادئ الأخلاقية، حتى فكرة الحقيقة باعتبارها مبدأ يوجه العلم فهى أيضا مبدأ أخلاقيا، وكل هذا يقودنا فى النهاية للنقد الذاتى والتسامح. والحق أن كارل بوبر كان شديد الوعى بتلك الأخلاق التطبيقية التى يعلن عنها وبلا مواربة: "بتفحص مثال لبعض الأخلاقيات أود أن أوضح هذا للمفكرين، لا سيما لأصحاب المهن الفكرية: للعلماء، للأطباء، للمحامين، للمهندسين، للمعماريين، للموظفين المدنيين، والسياسيين... وهؤلاء هم الأهم. أحب أن أضع أمامكم بعض المبادئ لأخلاق مهنية جديدة، مبادئ ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهومى التسامح والأمانة الفكرية"(٤٨). إن بوبر كان لديه وعيا أيضا ومبكرا بحاجتنا لأخلاقيات مهنية جديدة للعلماء وذلك لإيمانه بأن الأخلاقيات المهنية القديمة لم تعد صالحة لنا اليوم، وإن كان قد بنى تلك الحاجة على أولويات تتقاطع مرة وتقترب مرة أخرى مع ما أبرزناه سلفا؛ إذ يرى فى الأخلاق المهنية القديمة أنها بنيت على فكرة السلطة من حيث أنها تستند على المعرفة الشخصية من جهة، وعلى المعرفة اليقينية من جهة أخرى، بينما تبنى الأخلاق الجديدة التى يسعى إليها على فكرة المعرفة الموضوعية غير اليقينية. وإن كانت الأخلاقيات جميعها

تستند على مفاهيم الحقيقة والعقلانية والمسئولية الفكرية، إلا أن الأخلاق القديمة وهى التى تحاول امتلاك الحقيقة اليقينية المطلقة يظل مثلها الأعلى يتحدد فى الحكيم العارف لكل شىء فى مجاله فيصبح سلطة يحميها له زملائه ويحميها بدوره لزملائه. لا مجال للخطأ فى تلك الأخلاقيات وإن وجد يتم التستر عليه لحساب السلطة؛ لذا كانت دائمًا أخلاقًا مضللة ومتعصبة(٤٩).

انطلاقًا مما سبق يقترح بوبر أخلاقيات مهنية جديدة تنبنى على اثنى عشر مبدأ:

١- نفى أى سلطة، استنادًا على المعرفة الحدسية الموضوعية إذا شاركنا فيها جميعا.

٢- استحالة تجنب الأخطاء فجميع العلماء يقعون فيها.

٣- مع استحالة تجنب الأخطاء فعلينا محاولة اجتناب ذلك بقدر الإمكان مدركين الصعوبة حتى على أكبر المبدعين.

٤- مهمة العالم الدقيقة هى كشف الأخطاء فى النظريات الموثقة.

٥- ضرورة تعديل موقفنا من الأخطاء وهنا يمكن إصلاحنا الأخلاقى: فالتستر على الأخطاء شيمة للأخلاق القديمة.

٦- علينا أن نتعلم من الأخطاء، وليس إخفائها.

٧- البحث عن والتأكد من تذكر الأخطاء لتحليلها بدقة مسألة مهمة.

٨- ضرورة أن نعمل على الكمال الشخصى وفى الوقت نفسه التمسك بالنقد الذاتى.

٩- علينا أن نقبل شاكرين توجيه الآخرين لنا عن أخطائنا، وتذكر وقوعنا فى الخطأ عندما نوجه الآخرين أيضًا لأخطائهم.

١٠- لكى يسود التسامح نحن والآخرون كل منا فى حاجة للآخر لاكتشاف الأخطاء وتصحيحها.

١١- ضرورة نقد الآخرين، مع أهمية النقد الذاتى.

١٢- ضرورة تحديد النقد العقلى بأسباب وحجج يوجهها فكرة الإقتراب من الحقيقة الموضوعية.

هكذا نجد أن بوبر قد شغله أيضًا أخلاق الفلسفة التطبيقية، بل أكثر من ذلك حاول أن يضع مبادئ أخلاقية لهذا الغرض، ويقترح أخلاقيات مهنية جديدة، إلا أن الملاحظ على اهتمامه هذا هو الخلط دائما بين **Ethique** و **Morale** من جهة، وبين **Ethique** و **Déontologie** من جهة أخرى، وهو ما قمنا بمعالجته وتوضيحه على الصفحات السابقة. ولعل

السبب فى هذا يعود - فى نظرنا - إلى ربطه هذه المبادئ الأخلاقية بالمنظومة المنهجية المصاحبة للعالم أثناء أداؤه العملى، وبالتالى غلب عليها ميثاق شرف المهنة أكثر من فلسفة الأخلاق.

لكن السؤال الذى يفرض نفسه كيف عالج بوبر إنطلاقا من المبادئ التى أقترحها موضوع الميديا باعتباره نموذجا تخيرناه. لعل أول اهتمامات بوبر بهذا الموضوع تعود مبكرا، وذلك فى عام ١٩٥٤ حينما اهتم بالرأى العام والمبادئ الليبرالية وصنف وقتها التليفزيون ضمن ما أسماه "صيغ الرأى العام" باعتباره يشارك فى خدمة الرأى العام ويؤثر فيه واعتبره صيغة مؤسسية[٥٠] . وتنبه بوبر أيضًا قبل أن يقوم بدراسة التليفزيون دراسة معمقة، إلى آثاره السياسية والاجتماعية السلبية، خاصة فيما اتصل بالتأثير على الناخبين وتزييف وعيهم أثناء الانتخابات. ولما كانت مسألة الديمقراطية فى قلب اهتماماته نجده مهموما بصحة وسلامة الأنظمة الديمقراطية التى أصبحت مهددة. خاصة فى ظل دفعه للناخبين دفعا متحيزا وهو ما يعتبره إهانة لكل من المنتَخَبين والمنتخِبين. وذلك لتشابه هذه العملية بعمليات التسويق التجارى التى تتم للسلع التجارية من خلال الدعاية والإعلان على الشاشة الصغيرة، إلا أن الدراسة الأعمق حول التليفزيون هى التى

يتعرض لها هنا فى هذا الكتاب، وبشكل مباشر حيث كرس الفيلسوف الكبير جزءا من جهده لمعالجة هذا الموضوع، وليس غريبا أن يكون هو آخر النصوص التى خطها قبل أن توافيه المنية، فلقد شعر بتفاقم المشكلة، وأحس بمسئوليته تجاه هذا الأمر.

ولعل الموضوعين اللذين شدا انتباهه فى هذا هو أثر التليفزيون على الديمقراطية إضافة على تأثيره على الأطفال.

وبوبر ليس ضد التليفزيون من حيث المبدأ، فهو يراه رغم ضرره الشديد قادرا على أن يكون أداة شديدة الأهمية فى عملية التعليم، خاصة إذا تحول مما هو عليه ليصبح "هيئة ثقافية ذات إشعاع"؛ لأنه يرى أن إنتاج البرامج التافهة والسيئة أسهل بكثير من إنتاج البرامج عالية القيمة، وفى ظل الأعداد المتاحة الكبيرة من القنوات تصبح مهمة إنتاج مهنيين قادرين بحق على إنتاج برامج جذابة وذات قيمة مهمة صعبة. وداخل إطار المنافسة بين القنوات يجد بوبر أن كل قناة تحرص على إنتاج برامج تخاطب أحاسيس مشاهديها لتحتفظ بارتفاع معدل مشاهدتهم. وهذا ما ينقده بوبر لدى مسئولى التليفزيون الذين يتصورون أن ما ينتظره الناس لابد من تقديمه اعتمادًا على إحصائيات المشاهدة. والمفترض أن هذا المبدأ هو المتماشى مع مبادئ الديموقراطية، بصرف

النظر عن حجم الاختيارات المطروحة أمام المشاهد الذى لم يتعود إلا على ما قدم له. ولعل بوبر قد تنبه لهذه الفكرة من قبل عندما نفى أن تكون ديمقراطيتنا بسبب أن "الأغلبية دائمًا على حق، وإنما لأن التقاليد الديمقراطية هى الأقل شرا بين كل ما نعرف من تقاليد؛ فإذا رأت الأغلبية (أو "الرأى العام") أن تدعم الاستبداد، فليس على الديمقراطى أن يفترض وجود تناقض قاتل فى رؤاه. إنما عليه أن يدرك أن تقاليد الديمقراطية فى بلده ليست قوية بما فيه الكفاية"(٥١) .

يرفض بوبر إذن هذا الموقف المعتمد على الأغلبية كلية، معتبرا أن الديموقراطية ما هى إلا "نظام للحماية من الديكتاتورية، ولا شىء يمنع داخل إطار الديموقراطية الأشخاص الأكثر تعليما أن يمنحوا علمهم إلى الأشخاص الأقل علما، فالديموقراطية عملت دائمًا على رفع مستوى التعليم، وهذا هو طموحها الحقيقى"(٥٢). وذلك لأن الديمقراطية "لا توفر(...) أكثر من مجرد إطار يمكن للمواطنين أن يعملوا داخله بطريقة منظمة متماسكة"(٥٣).

ويرفض بوبر منطق ما أسماه بالمشهيات (العنف والجنس وما هو شهوانى) التى تضاف على البرامج لإبهار العامة ولدفع الناس لإعادة الطلب عليها. بهذا يرى بوبر ضرورة التدخل لكى نوقف تربية أبنائنا على

العنف، استنادا على اعتراف مرتكبوا الأعمال الإجرامية بأنهم قد استلهموا ما كانوا شاهدوه فى التليفزيون.

وهو ما اكتشفناه أخيراً فى إحدى حوادث عنف الأطفال فى فبراير سنة ١٩٩٣ بمدينة ليفربول البريطانية. ويعتبر ذلك تطوير لأفكار بوبر وتغيير من موقفه الذى كان متفائلا إذ كان يرى فى سنة ١٩٧٨ أنه "طبيعى أن اتفق مع المتشائمين عندما يؤكدون أننا نربى أطفالنا – عامدين أو نكاد – ليتعودوا على العنف بأن نعرضهم لأفلام العنف بالسينما والتليفزيون (...) لكنى كمتفائل أستطيع أن أقول إنه على الرغم من كل محاولاتنا لنشر العنف، فإن هناك لا يزال بعالمنا الكثير من الناس الطيبين النافعين. وعلى الرغم مما يقوله المتشائمون الثقافيون عن زماننا المفعم بالكره – وقد يكون حديثهم مقنعا – إلا أن هناك لا يزال الكثيرون ممن يسعدون بحياتهم[٥٤] .

ويتساءل بوبر ما العمل؟ خاصة وإن مبدأ الرقابة لا يتفق مع الديموقراطية، أو أن التدخل يأتى دائما بعد فوات الأوان، وايضا لاستحالة إعداد "رقابة وقائية" على البرامج، كما أن التدخل لدى مسئولى إنتاج برامج العنف غير مجدى داخل النظام التلفزى. فى إطار هذه التساؤلات يقدم بوبر اقتراحه الذى يستوحيه من البروتوكول الذى يخضع له الأطباء:

إذ يقترح بوبر بأن يكون كل شخص يعمل بالتليفزيون عضوا فى مؤسسة يقترح إنشائها تمنح أعضائها ترخيصا يتعرض لفقده كل من قام بانتهاك القواعد التى تضعها هذه المؤسسة. ويكون كل هذا تحت رقابة هيئة ما، ويتصور بوبر - المدافع الأكبر عن المجتمع المفتوح - أنه بهذا سيشعر كل فرد بشكل دائم بأنه مسئول ويمكن أن يغامر بترخيصه عند قيامه بارتكاب خطأ ما. اعتقادا منه أن "هذه المراقبة الدائمة ستكون أكثر فاعلية من الرقابة". ولا يمنح الترخيص مرة أخرى إلا بعد تدريب يعقبه امتحان. ولعل هذا النوع من الحجر يحاول بوبر تسويغه من خلال حل لغوى يلجأ إليه عندما يستبدل مصطلح الرقابة la censure بمصطلح آخر هو المراقبة الدائمة le control constant متصورًا أن هذا لن يكون حجرًا على الديموقراطية فى مجتمع طالما طالب بأن يكون مفتوحًا تُصان فيه الديموقراطية. على الرغم أنه قد تعرض لمشكلة الرقابة مبكرا سنة ١٩٥٤ ووضع يده على أهم خصائصها كالرقابة الذاتية واحتكارات الناشرين، ومدى حرية المفكرين ومسئوليتهم وحرية الجامعات والتدخلات المختلفة، وإدارة الرأى العام ومشكلة الدعاية للعنف فى وسائل الإعلام إضافة للدعاية والإعلان وهى موضوعات كانت كفيلة بأن تكشف له هشاشة هذا الحل اللغوى من جهة وإمكانية تحول المراقبة الدائمة إلى سلطة وهو ما رفضه من قبل من جهة أخرى.

كما يطالب بوبر بأن يشمل تدريب هؤلاء العاملين بالتليفزيون على دور تربوى يمكن أن يساهم فى بناء سلوك مدنى لدى المواطنين يعمل على صيانة الحضارة من العنف عندما يتركز التدريب على علاقة الأطفال بالصور المقدمة لهم استقبالاً وهضماً؛ فالأطفال غالباً كما بعض الراشدين لا يميزون بين الخيال والواقع. إضافة إلى دراسة التأثيرات التى يمارسها إنتاجهم التليفزيونى على الوعى الباطن للأطفال والكبار. وهو تدريب لازم لرجال التليفزيون لكى يعوا مسئوليتهم كمعلمين. ويرى بوبر أن هذا الترخيص لممارسة المهنة لابد، وأن ينسحب على كل العاملين فى مجال إنتاج البرامج التليفزيونية؛ لأن الخروج على التزامات كل منهم سيعتبر مخاطرة بسحب الترخيص منه. مما سيجعل كل فرد مشارك ومسئول فى الوقت نفسه وهو ما يتكافئ - كما يرى بوبر - مع الديموقراطية.

حيث تعمل الديموقراطية - لديه - على إخضاع السلطة السياسية لمراقبة ما، فينبغى أن تكون كل السلطات مراقبة، وبما أن التليفزيون أصبح سلطة ضخمة، ربما كان يرى - حلت محل صوت الله - فلا يمكن لأى ديموقراطية أن تستمر بدون أن تضع حداً لتلك القدرة الهائلة للتليفزيون، وهو يرى أن أعداء الديموقراطية لم يصلوا بعد

لأهمية سلطة التليفزيون. فأى هتلر جديد سيحوز مع هذا الجهاز سلطة بلا حدود، ويحذر بوبر بضرورة أن نعى هذا الخطر بإخضاع التليفزيون لتلك المراقبة.

وعلى الرغم من هذه المعالجة الهامة، فإننا عاينا أن كارل بوبر قد توقف عند الآليات التى من شأنها أن تؤدى إلى تفادى سلبيات الشاشة الصغيرة، ولا يخفى على أحد كيف أن هذا الأمر يتصل بالمواثيق الخاصة بشرف المهنة Déontologie، وتلمس من بعيد ما يتصل بالأخلاق التطبيقية Ethique التى تحاول أن تناقش الموضوع بالمنهجية الفلسفية. وهكذا غاب عن بوبر كما غاب عن بورديو – كما رأينا من قبل – الدخول فى صميم إيجاد موقف أخلاقى فلسفى للتصرف إزاء المشكلات المعقدة التى سببها التليفزيون والتى ما فتئ الكبار والصغار فى معاناتها، والتى أثبتتها الدراسات العلمية المؤكدة، وهى من قبيل الآثار المنعكسة على الطفل نفسه، وهو الأمر الذى شغل بوبر لحد كبير فمثلا أثبتت الدراسات أن "ثمة جوانب فى نمو الدماغ قد تتأثر بصورة جوهرية بالتعرض المنتظم للتجربة التليفزيونية (...) ويتصل بعض هذه الجوانب بالطرائق الخاصة التى تنظم عمل الدماغ فى التعامل مع المادة اللفظية وغير اللفظية. وقد يتيح فهم جوانب معنية فى فسيولوجية الدماغ توضيح

التأثير العصبى المحتمل للتجربة التليفزيونية"(٥٥) ، كما أثبتت الدراسات "أن مشاهدة أطفال ما قبل سن المدرسة للتليفزيون لا تؤدى إلى تحقيق مكاسب تعليمية جوهرية"(٥٦)، كما أن الأطفال الذين شاهدوا التليفزيون بكثرة قد أظهروا "مستويات لغوية متدنية"(٥٧) أكثر من ذلك فيؤثر "فى قدرة المشاهدين على التركيز وعلى القراءة والكتابة بوضوح وباختصار: على إظهار أى من المهارات اللفظية التى يتطلبها مجتمع المتعلمين(٥٨) ؛ حيث بينت أحد الدراسات أن "إمكانات طفل التليفزيون على تعليم تركيز الانتباه بوضوح والاحتفاظ بالتركيز محدودة. والواقع أن التشتت العقلى الذى تتطلبه التجربة التليفزيونية قد يجعل الأطفال الذين قبعوا آلاف الساعات أمام الجهاز يدخلون عالم القراءة بطريقة أكثر سطحية وأكثر نفاذًا للصبر، وأكثر غموضا"(٥٩)، إلا أن أصعب هذه التأثيرات هو إنتقال العنف من الشاشة الصغيرة إلى الأطفال؛ إذ ثبت من خلال تقرير لإدارة الصحة العامة الأمريكية سنة ١٩٧٢ "إلى وجود دليل "بالفعل" على أن العنف "الزائد" على شاشة التليفزيون يؤدى مباشرة إلى سلوك عدوانى وعنيف بين الأطفال والمراهقين"(٦٠)، كما أن المفاهيم الخاطئة التى تصل للمشاهدين "تنبع من المشاهد المتكررة للبرامج الخيالية التى يتم تنفيذها بأسلوب واقعى وضمن إطار واقعى"(٦١) إضافة إلى أن انشغال الأطفال

بالمشاهدة يمنعهم من اللعب وهو قيمة أساسية للاستمتاع بالحياة، تؤثر بالسلب على الجيل الذى حرم من اللعب بسبب المشاهدة. ولعل أسوأ ما يمكن أن يتعرض له الطفل هو تبلد أحاسيسه بفعل المشاهدة الطويلة؛ إذ تعود هؤلاء الأطفال "على الأحداث المثيرة للانفعال على شاشة التليفزيون إلى حد أن قدرتهم على الإحساس أعتراها الكلال(...) أن تبلد حساسيتهم كان أحد تأثيرات التعرض المستمر لمضامين العنف على شاشة التليفزيون"[٦٢] ، كما أن زيادة ساعات المشاهدة، تعمل إضافة إلى تبلد حساسية الأطفال على خلق جيل منطوى وغير سوى: "فالساعات التى يقضيها الأطفال فى علاقة أحادية الإتجاه مع الشخصيات التليفزيونية، وهو اندماج لا يسمح بتواصل أو تفاعل، تؤثر من دون ريب فى العلاقات مع الناس الحقيقيين"[٦٣] .

إلا أن جملة هذه الآثار المدمرة على بناء جيل قادر ليست هى نهاية المطاف، بل إن هناك أكثر من ذلك تأثيرات على الأسرة ذاتها؛ إذ أثبتت نفس الدراسات أن التليفزيون قد لعب "دورًا مهمًا فى تفكك الأسرة الأمريكية، من خلال تأثيره فى العلاقات الأسرية، وتسهيله انسحاب الأبوين من القيام بدور فعال فى التنشئة الاجتماعية لأطفالهم، وفى حلوله محل الطقوس الأسرية والمناسبات الخاصة"[٦٤] .

وتضيف الدراسات إلى جانب إفراغ حياة الطفل من الأنشطة والسلوكيات النافعة والضرورية للنمو الأفضل الحقيقة التالية "أزال التليفزيون ايضا سلوكيات تنشئة الطفل من جانب الآباء والتى كانت ذات أهمية مماثلة. ذلك أن الآباء بسبب اعتمادهم المتزايد على التليفزيون فى حياتهم اليومية مع أطفالهم، ينسحبون من دورهم الفاعل فى تربية الأطفال".[٦٥] ويمتد هذا الدور السلبى إلى آثار عامة وخطيرة تطول العلاقات الإجتماعية فى مجتمعاتنا بمجملها، بل شبه البعض الإدمان على مشاهدة التليفزيون كنوع حقيقى من الإدمان على المخدرات؛ حيث "إن التأثير العكسى للمشاهدة التليفزيونية فى حياة كثير من الناس هو، فى النهاية، الذى يحدد معناها كنوع خطير من أنواع الإدمان، مفادة مشاهدة التليفزيون تشوه معنى الوقت، وتجعل التجارب الأخرى غامضة ووهمية بصورة غريبة بينما تكتسب لنفسها حقيقة أكبر. وهى تضعف العلاقات إذ تقلص فرص الحديث، والتواصل الطبيعية، بل تزيلها أحيانا"[٦٦]. وحالة المدمن تقترب بل تكاد تتطابق شعوريا فى كلتا الحالتين؛ إذ "ليست الحالة الشعورية فى أثناء المشاهدة التليفزيونية بعيدة عن الحالة التى أطلق عليها المتعاطون للمخدرات وصف الوعى المجرد وهى التى (يكون الشخص فيها) على وعى كامل ونشط بتجربته،

ودون أن يكون هناك وجود لعمليات تفكير، أو ممارسة أو تفسير؛ فالإحساسات تملأ انتباه الشخص، وهو انتباه سلبى، إلا أنه مستغرق فيما يحدث، وهو ما يكون فى العادة قويا ومباشرا"(٦٧). وهو الأمر الذى دفع بعض المحللين إلى دمج علاج الإدمان والمشاهدة التليفزيونية باعتبار كل منهما يمثل إدمانًا "كما أن الخطوة الأولى فى علاج إدمان الكحوليات تبدأ بجعل المدمن يواجه حقيقة أن لديه مشكلة مع الشراب، فكذلك بالضبط لابد أن تكون الخطوة الأولى فى مداواة إدمان التليفزيون هى الاعتراف الواسع بأنها حقا مشكلة. وربما يحتاج الأمر إلى منظمة جديدة اليوم من أجل تنبيه الرأى العام إلى وجود إدمان التليفزيون وطبيعة هذا الإدمان ومساعدة الأسر فى نضالها للسيطرة عليه"(٦٨).

وكل ما تعرضنا له من تأثيرات سلبية على الأطفال والأسرة والمجتمع يجرنا إلى عدم الارتكان على أن إصلاح ميثاق شرف المهنة Déontologie كفيل بأن يجعل الصورة وردية، وأن يُصلح ما تم إفساده، وهو ما توقف عنده كل من بورديو وبوبر، فما طرحناه يدفعنا للتأمل على قاعدة إعادة النظر فى الأسس النظرية التى تعتمد عليها مفاهيم كالديمقراطية مثلاً التى أهتم بها بوبر، خاصة وأن البعض ناقش مبدأ الديمقراطية فى إختيار الأطفال لبرامجهم، وعلى الآباء أن يرضخوا؛ لأن عدم الرضوخ

خروج عن المبدأ الديمقراطى، وتكريس للدكتاتورية. ولعل كان هذا فى حاجة إلى تعميق ونقاش يصل إلى الأسس الأخلاقية التى تقوم عليها الديمقراطية، خاصة فى ظل المتغيرات العميقة التى شهدتها مجتمعاتنا فى مجال الميديا. ومفاهيم أخرى كالحرية، والمسئولية والعدالة والواجب الأخلاقى وغيرها وكانت فى حاجة لمناقشة فى ضوء ما تعرضنا له.

وكان كل هذا كفيل بأن يدفعنا إلى ضرورة إعادة الحيوية للنقاش والتأمل العميق من أجل إرساء أخلاق فى الفلسفة التطبيقية المعاصرة تخص أخلاق الميديا، على مستوى الحكمة العملية التى دعونا إليها Ethique من جهة، وربما تحث على محاولة إيجاد ميثاق أخلاقى لوسائل الإعلام Déontologie من جهة أخرى؛ حيث يمكن لهذا الميثاق مقاومة إغراءات المال، والمنطق التجارى الذى يحكم منتجى البرامج، بحيث يمنح مسئولية أكبر للعاملين بالبرامج؛ دون أن يفرض عليهم أية رقابة أو مراقبة تحد من حريتهم فى الإبداع والتفكير الحر. فمبدأ المسئولية واحترام عقول المشاهدين بعيدًا عن ضرورات الدعاية والإعلان مسألة حيوية من أجل أن تلعب الشاشة الصغيرة دورها المفترض فى الارتفاع بمستوى الجماهير البسيطة. ومن هنا تصبح هذه المهمة هى مهمة الجميع وليست مهمة النخبة أو من أتهمهم بوبر أو بورديو بالتلاعب

وتوجيه إرادات المشاهدين نحو أهداف بعينها. ولعل هذا يصبح واجبًا ومسئولية كل إنسان من أجل إيجاد عالم خال من التلاعب بعقول أبنائه باسم الديمقراطية المصطنعة تارة والمسئولية المزيفة تارة أخرى.



هوامش دراسة وتقديم المترجم

١- ألقى المترجم هذا البحث فى المؤتمر الفلسفى الثانى لجامعة حلوان حول أزمة القيم ومتغيرات العصر، والذى عقد فى الفترة من ٢٢ - ٢٣ مارس ٢٠٠٣، ونُشر جزئيًا بأعمال مؤتمر الفلسفة التطبيقية لآداب القاهرة تحت عنوان: الأخلاق بين القيم والممارسة التطبيقية - ملاحظات أولية. وهى المرة الأولى هنا التى ينشر فيها كاملا.

٢- انظر على سبيل المثال

J. Bernard, De la biologie L'èthique, : Paris, Buchet Chastel, 1990.
J.Couture, Ethique et rationalité liège madaga 1992
J. Habermas, Morale et communication, paris, cerf 1988
H. Hude Ethique et politique, ed. p.u.f. 1992

٣- أدى التسارع فى التقدم البيولوجى والطبى فى العقود الأخيرة بالدول المتقدمة إلى تكوين لجان أخلاقية وظيفتها التفكير فى المعضلات التى تطرحها المستجدات على ساحة الطب والبيولوجيا والهندسة الوراثية، بحيث تصنع هذه اللجان خلاصة ما توصلت إليه من آراء يمكن أن تقدم حلولا أخلاقية مناسبة للمشكلات المطروحة، هذا وقد تم تكوين اللجان الوطنية الفرنسية المعنية بالأخلاق فى ١٩٨٣، وتتكون من فصيل واسع من المواطنين مختلفى المهن والنوازع والعقائد. وأعقب هذا إنشاء لجان وطنية على نفس النسق فى حوال عشرين دولة أخرى.

٤- انظر:

Elisabethe Clément (en colloboaration) Pratique de la philosophie, éd. hatier, paris, 1994 pp. 118, 119.

٥- Ibid., p. 119.

٦- ibid., p. 237

٧- Vincent des Combes, Il ya plusieurs morales et plusieurs éthiques, In Mag. Littéraire, No 361 Janvier 1998, p. 41

٨- Ibid.,

٩- M. Weber, politik als Beruf, 1919, In le savant et le politique, plon, p. 169

١٠- Elisabeth Clément, op cit., p 119

١١- Ibid.

١٢- راجع هذه الفكرة فى:
Ibid., P. 237

١٣- Ibid.

١٤- Ibid., P. 119

١٥- J. Russ, La penssée Ethique.Contemporaine, P.U.F., Paris, 2ème, édition, 1994, P.5.

١٦- Ibid.,

١٧- Elisabeth Clément, opcit., p. 119

١٨- J. Russ, La Pensèe.. op. cit., p. 5

١٩- Vincent des Combes, Il ya, op cit, p. 40

٢٠- Encyclopedia universalis, corpus 7, Paris, 1993, p. 188

٢١- Ibid.

٢٢- تقوم أيضًا جهود حثيثة لمحاولة إيجاد Déontologie تجمع بين المهن المختلفة مع احتفاظها بالفعالية، بحيث تحدد القواعد المشتركة التى تنطبق على كل المهن. وذلك من قبل ممثلين لمهن مختلفة يعملون جميعًا فى سياق الفريق الواحد. وقد بذلت بالفعل جهود فى فرنسا فى هذا الاتجاه. إلا أن الملاحظ هو صعوبة هذه المحاولة، خاصة إذا لم تكن منحصرة فى اهتمام بعينه يربط بين كل تلك المهن المختلفة. بذلت محاولة فى مجال "الطفولة والمراهقة" ففى مجال حماية الطفل من الاخطار الأخلاقية تم التعاون والتنسيق التام بين عدد كبير من المهن مثل المعلمين، ومعلمى التأهيل وعلماء النفس والتحليل النفسى وأطباء الأطفال والطب النفسى والأخصائيين الاجتماعيين. وكان "الطفل" هو محور التعاون فيما بينهم. وقد أقاموا علاقات بحثية فيما بينهم حول الطفولة والمراهقة مع العائلات وقضاة الطفل.

وحتى الآن لم يستطيعوا صياغة هذا الميثاق المنشود. إلا أن ما استطاعوا القيام به بالفعل هو

التوصل إلى ميثاق تحميه السلطات العامة، وذلك للتنسيق فيما بينهم فيما يخص الجهود المبذولة حتى لاتتضارب أو تشذ عن الأهداف المرجوة.

(راجع فى هذا: Encyclopedia Universalis, op cit, p. 188

٢٣- Information et déntologie in le Monde, 12 fév. 1993

٢٤- wolton. In Sciences Humaines. No Spécial autour de de Pierre Bourdieu. 2002.

٢٥- Ibid.

٢٦- D. Bougnoux, face au progrès audiovisuel, In mag. Littéraire, no 369, 1995, p.55.

٢٧- Ibid.,

٢٨- Ibid., pp. 55.56

٢٩- Ibid.,

٣٠- Ibid., pp.56

٣١- بييربورديو ولد فى دينجن بأعالى البيرنية الفرنسية فى ١٩٣٠ فى وسط عائلى متواضع، إلا أنه باجتهاده ومثابرته يستطيع الألتحاق فى ١٩٥١ بمدرسة المعلمين العليا E.N.S التى تخرج فيها كبار رجال الفكر والفلسفة بفرنسا . فى تلك المدرسة تشكلت لأول مرة خبراته وتجارب مع ثقافة البرجوازية الفرنسية وفيها تشكل شعورد السلبى تجاه النخبة الثقافية الباريسية وعلى الرغم من ميلة السياسى الظاهر نحو اليسار، فإنه لم يلتحق بالحزب الشيوعى الفرنسى: إذ كان يبدى دائما شكا تجاه المؤسسات. فى عام ١٩٥٥ يحصل على الأجرجاسيون فى الفلسفة وفى الوقت نفسه على وظيفة معيد بكلية الآداب بجامعة الجزائر. هناك تبدأ أعماله الأولى حول "التحولات الاجتماعية للجزائر". وفى سنة ١٩٦١ يعود لفرنسا، ويقوم بالتدريس فى جامعة السوربون ثم بجامعة ليل. ويصبح سنة ١٩٦٤ مديرا للدراسات فى مدرسة الدراسات العليا EHESS وينشر دراسة حول "المدرسة والممارسات الثقافية" وهو كتابه (الورثة). كانت علاقته فى هذه الاثناء طيبة وحميمة بريمون آرون الذى كان يرى فى بوريو أحد مفكرى فرنسا القادين فتبناه وأسند إليه المشاركة فى إدارة "المركز الأوربى لعلم الاجتماع التاريخى". لكن على آثر أحداث ثورة الطلاب

فى مـايو سنة ١٩٦٨، ودور كـتـاب بورديو فى أحـداث الثـورة عندمـا تبنى اطروحـاته الطلاب المتمردون، تدخل هذه العلاقة فى طور من القطيعة، ويستطيع بورديو تأسيس "مركزه الخاص تحت اسم مركز علم الاجتماع الأوروبى". ويستمر فى نشر أعماله من خلال مركزه، ومنذ تأسيس مجلة "أعمال البحث فى العلوم الإجتماعية" يقوم بإدارتها. يصعد نجمه بسرعه فيصبح أستاذا لكرسى الاجتماع بالكوليج دى فرانس. يحصل فى سنة ١٩٩٣ على الميدالية الذهبية من المركز القومى للبحوث الفرنسية مع بعض أصدقائه القدامى يحصل على شهرة دولية كبيرة، وخاصة فى الولايات المتحدة؛ حيث لاقت أعماله تعليقات وكتابات عديدة بداية من التسعينيات تبدأ مرحلة جديدة من حياته حيث يصبح المثقف الملتزم بامتياز فيترأس فى ١٩٨٩ - ١٩٩٠ لجنة للتفكير حول محتوى التعليم يسندها له الرئيسى الفرنسى الأسبق فرانسوا ميتران، وفى أعقاب إضرابات ديسمبر ١٩٩٥ يشارك فى نداء للمثقفين لمسانده المضربين ويقف إلى جانب العاطلين عن العمل فى سنة ١٩٩٨، ويشارك فى مسانده المثقفين الجزائريين، وفى العام نفسه يهاجم الليبرالية الجديدة ويطالب بيسار آخر يقف على يسار اليسار. ونراه إلى جانب جوزيه بوفيه النقابى الفلاحى الشهيرة، ومسئولى حركة ATTAC المناهضين للعولمة، مشجعًا إقامة شبكة علاقات للعولمة النقدية لمناهضة العولمة الاقتصادية. وفى يناير سنة ٢٠٠٢ يفاجئ الجميع بوفاته عن عمر يناهز إحدى وسبعون عاما وكتابات تتعدى الثلاثين مؤلفًا: "الورثة" بالاشتراك مع بارسيرون سنة ١٩٦٤، و "مهنة عالم الاجتماع، إعادة الإنتاج، عناصر من أجل نظرية لنظام التعليم" فى سنة ١٩٧٠ و "التميز نقد اجتماعى للحكم فى سنة ١٩٧٩ و "أنطولوجيا مارتن هيدجر السياسية" فى ١٩٩٨ و"إجابات من أجل أنثروبولوجيا تأملية" فى ١٩٩٢ و "بؤس العالم" فى ١٩٩٣ و "اسباب عملية، حول نظرية الفعل" فى ١٩٩٤ و "حول التليفزيون" فى ١٩٩٦ و"تأملات باسكالية" عناصر من اجل فلسفة للسلب فى سنة ١٩٩٧ و "الهيمنة الذكورية" فى ١٩٩٨ و "البنيات الاجتماعية للاقتصاد" فى ٢٠٠٠ و "اللغة والسلطة الرمزية" فى ٢٠٠١ وغيرها.

٣٢- عن حياة وأعمال بورديو راجع: Revue Sciences Humaines, No spécial autour de Pierre Bourdieu, paris, 2002.

٣٣- بيير بورديو، عن التليفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة: درويش الحلوجى، المحروسة للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٦ - ٢٧

٣٤- المرجع السابق، ص ٢٧

٣٥- المرجع السابق ص ٣٢

٣٦- المرجع السابق ص ٣٨

٣٧- المرجع السابق ص ٤٦

٣٨- راجع : Le Monde diplomatique, Avril 1996

٣٩- بورديو عن التليفزيون، مرجع سابق، ص٤٩

٤٠- المرجع السابق، ص٥٩

٤١- المرجع السابق

٤٢- Entretien In Sciences Humainess No special Ibid., 2002

٤٣- كارل ريمون بوبر ولد فى فيينا فى سنة ١٩٠٢ فى وسط عائلى وثقافى مشجع ومحفز على العلم والمعرفة والفن، اكتسب حب الاطلاع والفضول العلمى من والده، وميله الفنى نحو الموسيقى من والدته تحولت حياته بعد الحرب العالمية الأولى إلى بعض الفنك الذى لم يؤثر على طموحاته العلمية، فأخذ يدرس ويعمل فى نفس الآن فأختلف إلى قاعات الدرس فى جامعة فيينا فى علوم شتى بين النظرية والعملية، فى الوقت الذى بدأ فيه فى العمل الاجتماعى تحت تأثير سنوات الحرب الصعبة وما أعقبها من فقر عانى منه مواطنوه وهو الأمر الذى ولد فى نفسه الاهتمام بالسياسة مبكرا، فأنتقل من صفوف الشباب الماركسى إلى شباب الاشتراكية الديمقراطية فى الوقت الذى عمل فيه بين التجارة وبيوت حضانة الاطفال إلى التدريس فى المرحلة الإبتدائية. وبعد تخرجه من جامعة فيينا التى قد التحق بها فى ١٩١٩، أكمل دراساته حتى حصل على الدكتوراه، وبعدها عمل بالتدريس فى المدارس الثانوية. وفى عام ١٩٣٧ يترك النمسا مهاجراً إلى نيوزيلنده فى اعقاب صعود النازية ويعمل بجامعتها حتى وضعت الحرب أوارها. ويهاجر مرة أخرى لكن هذه المرة إلى انجلترا ويشغل كرسى الأبستمولوجيا فى جامعتها. "منطق الاكتشافات العلمية" فى سنة ١٩٣٤ وتتوالى كتب بوبر فيصدر "المجتمع المفتوح وخصومه" سنة ١٩٤٥ يدعو فيه للديمقراطية والليبرالية ويتصدى فيه للفلسفات السياسية الشمولية ثم "عقم النزعة التاريخية" فى نفس العام يتابع فيه الدعوة للمجتمع المفتوح ناقدا الحتمية التاريخية ثم الحدوس الافتراضية والنقض سنة ١٩٥٣ وهناك كتب أخرى له فيها" البحث غير المكتمل - أوتوبيوجرافيا ثقافية،

والمعرفة الموضوعية، و اسلاف افلاطون، و هيجل وماركس، والنزعة الواقعية، والعلم، والكون المتردد – الدعوة من أجل اللاحتمية، وأيضا بحثا عن عالم افضل، و درس هذا العصر، الذى ترجم للعربية تحت اسم حصاد القرن فى مشروع الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة. ومن الكتب المشتركة: المستقبل مفتوح مع كونراد لورنز فى Konrad Lorens إضافة إلى كتابنا هذا وهو آخر ما كتب. ورغم شيخوخته إلى أنه ظل يشارك فى الندوات والمؤتمرات الدولية ويقدم خلاصة أفكاره بنفس حيويته التى لم تنضب على الإطلاق معبرا عن أفكاره وقناعاته حتى توفى بلندن عام ١٩٩٤ عن عمر ناهز الثانية والتسعين.

٤٤– راجع فى حياة وأعمال بوبر:

Renée Bouveresse, Karl popper, vrin, Paris, 1978. –

و د. يمنى طريف الخولى، فلسفة كارل بوبر منهج العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩ .

٤٥– كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل، ترجمة د.أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩، ص.٥٩

٤٦– كارل بوبر بحثا عن عالم أفضل، مرجع سابق، ص١٠٩ .

٤٧– المرجع السابق ص٢٢٦ .

٤٨– المرجع السابق، ص٢٢٦ .

٤٩– المرجع السابق، ص٢٤٣ .

٥٠– انظر: ص ٢٤٣–٢٤٤ .

٥١– بحثا عن عالم أفضل، مرجع سابق، ص١٩٤ .

٥٢– بحثا عن عالم أفضل، مرجع سابق، ص ١٩١ .

٥٣– بحثا عن عالم، مرجع سابق، ص١٩١ .

٥٤– بحث عن عالم.. مرجع سابق، ص٢٧٠ .

٥٥– مارى وين، الأطفال والإدمان التليفزيونى، ترجمة : عبد الفتاح الصبحى، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٩، ص٦٠ .

٥٦- المرجع السابق، ص٥٧ .

٥٧- المرجع السابق، ص٦٥ .

٥٨- المرجع السابق، ص٧٥ .

٥٩- المرجع السابق، ص٨٥ .

٦٠- المرجع السابق، ص١١٦ .

٦١- المرجع السابق، ص١٢١-١٢٢ .

٦٢- المرجع السابق، ص١٢٣ .

٦٣- المرجع السابق، ص١٦٤ .

٦٤- المرجع السابق، ص١٦٧ .

٦٥- المرجع السابق، ص١٧٧ .

٦٦- المرجع السابق، ص٣٩ .

٦٧- المرجع السابق، ص١٥٣ .

٦٨- المرجع السابق، ص٢٤٥ .

Karl popper: John Condry la télévision un danger pour la démocratie, anatiolia paris 1995

فى المقابلة المنشورة فى L'unita فى ٢٥ يناير سنة ١٩٩٤

- قانون معدل المشاهدة هو الذى يستند عليه المنتجون ورجال الإعلام فى تحديد نسبة مشاهدة الجمهور للبرامج، ومن ثم تتحدد أسعار الإعلانات على قنوات التليفزيون (المترجم).



مقدمة

جيانكارلو بوزيتى

كان يعتزم كارل بوبر منذ سنوات عديدة نشر الفرضية التى سنجدها فى المقابلة التى نقدمها هنا، مع دراسة لجون كوندرى. كنت قد فهمت منذ ١٩٩١ خلال لقائنا، أنه عندما يقول "نربى آبناءنا على العنف من خلال التليفزيون ووسائل الإعلام الأخرى"، وأنه "ينبغى مع الأسف اللجوء إلى الرقابة[١]"، أن أقواله تلك لا تعبر عن حساسية مكتئب ما، ولا حتى موقف شخص جدير بالاحترام، ولكن ما يريده بالأحرى هو الوصول لتأمل ناضج حول الطريقة التى تنتقل بها الثقافة والعقل المدنى، الذى تفرضه وتؤيده دولة القانون، ومن خلاله يتم توظيف الديمقراطية. بالتأكيد كان هناك قدرا من الإثارة فى تلك الدعوة إلى الرقابة – التى بالإضافة إلى ذلك وفيما بعد استبعدت عندما حُكم عليها ظاهريا بعدم النجاعة، وبأنها غير قابلة للتحقق داخل مجتمع ديمقراطى: بالفعل كان

(١) مقابلة نُشرت فى La Le.çon de ce sècle, Paris, ed. Anatolia. 1993 p.69, Traduit Par J. Henry et c. Orsoni.

يود منظرٌ المجتمع المفتوح وهو أحد المترجمين الأساسيين للفكر الليبرالى بأن يلقى بصرخة تحذير مؤثِّرة.

لن نعرف وجود حل بسيط لمشكلة التليفزيون لدى بوبر؛ فكل دواء متخيل يمكن أن يكون متلائما مع مبادئ الديمقراطية والمذهب الليبرالى. من خلال أدبيات أمريكية مسهبة يقوم جون كوندرى بتقديم خلاصة نافعة، تشهد على الخسائر التى ألحقت بالمجتمع توسعًا غير منضبط لسلطة التليفزيون: وهو ما يتمثل فى الوقت المهدر، وفى التأثير السيئ الذى يمارسه على السلوك، وفى التنافس الذى يقيمه مع الأسرة ومع المدرسة، وفى تشويه النقاش العام، وفى التضخم غير المحسوب للأساطير و"لعملية خلق النجوم"، إلا أن التليفزيون باعتباره أيضًا تعبيرًا وتظاهرا لمبدأ الحرية، فإننا بصدد رؤية كيف يمكن تقليص سلطته داخل بيئة ليبرالية.

فى المرحلة الأولى، كان يُذكِّر بوبر حتى بقواعد دولة القانون: "فى قلب دولة القانون، هناك اللاعنف". وبعد ذلك، بقدر ما نهمل "واجبنا فى تعليم اللاعنف"، بقدر ما يجب علينا تطبيق القوانين العقابية والمعايير شديدة الصرامة فى "مجال النشر، والتليفزيون، والاتصال الجماهيرى". بعبارات أخرى، كلما زادت الثقافة التى تتغذى عليها دولة القانون كلما

استوحت رفض العنف، الذى يعتبر جوهر الديمقراطية ذاتها، وكلما قلت ضرورة فرض معايير قمعية، أو التهديدات بالسجن، والضبط القمعى للأفراد. وبقدر ما تنمو الحياة المدنية، بقدر ما يرتقى مستوى تعليم المواطنين، وبقدر ما يقل تدخل الدولة بكل أجهزتها. ويضيف بوبر "أنه مبدأ شديد البساطة" وهو هنا يحيل أيضًا إلى إيمانويل كانط. "والفكرة هى دائمًا نفسها: توسع حرية كل فرد إلى أقصاها فى الحدود التى تعيق حرية الآخرين. وإذا ما قمنا بالتركيز فى هذا الطريق. سرعان ما نجد أنفسنا نعيش فى مجتمع يصبح فيه القتل هو العملة الرائجة".

وعلى الطريق الذى يقود المجتمع المفتوح نحو عالم أفضل، يمثل التليفزيون عقبة كئود، إذ إن وجوده ليس فقط نتيجة للتقدم التقنى ولكنه أيضًا نتيجة للحرية. "نحن فى حاجة للحرية"، هكذا كتب بوبر وهو يفكر فى تعارضات الديمقراطية، "لمنع الدولة من إساءة استعمال سلطتها، ونحن فى حاجة للدولة لكى نمنع أن تؤدى الحرية لانحرافات". ويضيف: "إنه لمن الواضح إنها مسألة لا يمكن أبدًا أن تحل عن طريق قوانين ليست مجردة ولا نظرية. ينبغى وجود محكمة دستورية وخاصة، ونية حسنة". "على كل الأحوال، استمرارنا فى حب الحرية لا ينبغى أن يقودنا إهمال المشكلات المرتبطة بالاستخدام السئ للحرية".

على منوال كانط، ينبغى علينا اعتبار أن "التقليص الذى لا يمكن تفاديه للحرية" مثله مثل "النتيجة الضرورية للتعايش الإنسانى[٢]".

إن التليفزيون يُقطِّر عنفًا فى قلب المجتمع: ذلك هو الإتهام الأول والرئيسى الذى يسوقه الفيلسوف الذى ينتمى لفيينا ضد التليفزيون، مقارنا إياه حتى بالحرب. فكلاهما (التليفزيون والحرب) وبطرق مختلفة، يتسببان فى أزمات كارثية فى السياق الطبيعى للحياة الاجتماعية؛ فكلاهما يجلب "خسارة فى الشعور العادى الذى يمثل لازمة لعالم شديد التنظيم"، والذى تظل فيه الجريمة "استثناء عظيم[٣]". وحول هذا الاتهام، كما سنرى فيما بعد، لا يتراجع بوبر؛ فهو يعطى حتى إلى كوندرى وبشكل مزدوج تبريرًا أيضًا أكثر حجية من وجهة نظر التعليم، إلا أن هذا الاتهام ليس الأوحد الذى يقدمه ضد التليفزيون. فهو يعتبر أن عصرنا لم يُقدِّر بعد تمامًا أهمية التليفزيون وتأثيراته على المجتمع، ويومئ بوبر بهدوء وصبر وأريحية أستاذ فى مواجهة تلاميذ مازال ينقصهم النضج، إلى خسارة أخرى ضخمة انتجها هذا الجهاز

(٢) 1 cf. La Leçon de ce siécle. p.112 نشره المجلس الأعلى للثقافة بترجمة الزواوى بغورة ولاخضر مذبوح (المترجم).

(٣) فى المقابلة المنشورة فى L'unita فى ٢٥ يناير ١٩٩٤ .

الإلكترونى. فباعتباره جديدا نسبيا، ومن جمود المؤسسات السياسية غير القادرة على التصرف بسرعة، أصبح التليفزيون سلطة غير منضبطة، وكل سلطة غير منضبطة تتعارض مع مبادئ الديمقراطية.

وهكذا جاءت فكرة بوبر فى أن يُكمل تأمله باقتراح سياسى، وهو النص الذى نقدمه هنا يصيغ المأمول والمخطط الكلى. ويبدو هنا تحليله مثل مقترحاته تماماً قد أخذت حظها من التفكير، فأصبحت أكثر اكتمالاً وأكثر واقعية مما بدى عليها فى الماضى عندما ألقى بصرخة التحذير الأولى، لم تعد فقط مسألة عنف، ولكن أيضًا لا توازنات الحياة السياسية، وفساد الخطاب العام، ومشكلة إدراك الإختلاف بين الحقيقة والخيال، والتى تتسع أكثر فأكثر. ويكفى هذا بشكل كبير للشعور بضرورة أن تكون لدينا معلومات حول تأثيرات علبة الصور (التليفزيون)؛ إن تعليمًا ما ينبغى أن يكون نافعًا وإجباريًا للجميع ولهؤلاء الذين لديهم مسئولية مباشرة فى مواجهة التليفزيون.

وحتى الآن لم يهتم مقترح بوبر إلا ببعض الملاحظات العامة والجزئية: رقابة العنف، وفرض قَسم على هؤلاء الذين يعملون بالتليفزيون، ومنح ترخيص يمكن سحبه. سيمكننا أيضًا من الآن فصاعداً معرفة محتوى مشروعه فى مجمله وخلق – نتعشم ذلك – نقاش

أقل سطحية وأقل محدودية مما لم نقم به حتى اليوم[٤]، وقبل أن نعرض أفكاره في الصفحات القادمة، فقد حاول بوبر في ثلاث مرات أن يعرض لمشروعه بالتليفزيون، عندما أظهر حينئذٍ ثقته في عالم الاتصال. بدأ هذا في قناة وطنية ألمانية، وفي قناة إيطالية، وفي القناة البريطانية BBC إلا أن هذه الثقة لم تقابل بالمثل إلا قليلاً. مقاطعات، وتأجيلات ومواعيد أختيرت بشكل سيئ لكي تعمل على خنق مشروع الفيلسوف، "نتحدث عن الرقابة..". كان يقول بوبر في موضوع التليفزيون: "إنهم منتجو التليفزيون، الذين يملكون سلطة الرقابة كما يحلو لهم، ودون أن نستطيع في هذا شيئًا". ولم يحظ المشروع بنقاش عميق لا في الصحافة ولا في برلمانات الدول الأوروبية. وظلت أعمال البرلمان الأوروبي حتى الآن غير

---

(٤) يعتبر رد فعل أحد المسئولين الكبار في التليفزيون الإيطالي معبرًا جدًا عن عقلية منغلقة: «يقال لي الآن إنه أكثر من الحرب، والمدرسة، والعمل، وكل ما هو متبقي [...] إنه التليفزيون الذي يشكل العقل الإنساني، وهذا بدية من مخ (المعروف طبعًا) الأطفال الهش ... الآثار الضارة للتليفزيون! ولكن أي آثار ضارة؟ لن تقول لي أنه بسبب التليفزيون يقتتلون في يوغسلافيا» تكشف هذه الملاحظة الأخيرة عن جهل عميق بوظيفة التليفزيون، عمومًا، وفي البلقان على وجه الخصوص، حيث عن طريق التليفزيون ضربت البروباجندا بعنف بهدف إعداد الجنود للمذبحة. وهذا ما يجعلنا نعتبر محاضراته لإعداد للاتصال الجماهيري التي يقترنها بوبر وكأنها إلحاحية مطلقة. في «قسم من أجل العمل بالتليفزيون، بوبر: ليس رقابة، ولكن التزام أخلاقي»، La Stoimqa في ٢ فبراير ١٩٩٣ .

معروفة وبدون تأثير يذكر، تماماً مثل أعمال مجلس المجموعة الأوروبية، والذى وضع مع ذلك سنة ١٩٨٩ توجْيهًا رجع فيه بشكل ضمنى إلى حماية القُصَّر وإلى الوظيفة التعليمية للبرامج المتلفزة.

وعرف بوبر جيداً إبراز المجالات المختلفة للتعليم، ولعلم النفس، وللتطور، وبيولوجيا الكائن الإنسانى فى عصر التليفزيون. وهذا ما يفهم إلى جانب أشياء أخرى عن طريق تنوع المجالات التى درسها خلال تكوينه الطويل. وليس من غير النافع أن نُذكِّر بأن مؤلف "منطق الإكتشاف العلمى" و"المجتمع المفتوح وأعدائه" ليس فقط فيلسوفاً أو عالماً إبستمولوجياً. فمنذ رسالته للدكتوراه تطور بين الفلسفة وعلم النفس، وهو العلم الذى اهتم به كما عمَّق بشكل جوهرى من وجهة النظر البيولوجية. إنه أيضا عضو الأكاديمية الأمريكية للعلوم، فى القسم المخصص للتطور وللبيولوجيا، لكن أيضًا هناك هذه القدرات الخاصة التى تشهد بها أعماله، وهناك أيضا ما هو معروفًا بشكل أقل: عمل بوبر معلمًا خلال فترة كبيرة من حياته. كما اهتم بأطفال فى فيينا بين أعوام ١٩١٨ و١٩٣٧، قبل أن يترك بلده. لقد تعاون طويلاً مع ألفرد آدلير وجمعيته فى علم النفس الفردى. وكان أدلير مستشاراً للحكومة النمساوية حتى وصول النازية، وقد جهز عديد من العيادات المتخصصة

فى العناية بالأطفال غير المتكيفين. وقد عمل بوبر فى اتصال مع هؤلاء الأطفال فى سياق أبحاث الجمعية، إلا أنه شغل أيضًا وظيفة معلم فى بلدية فيينا.

قانون من أجل التليفزيون

كارل بوبر

يوضح مقال چون كوندرى المنشور بعد، ذلك التأثير الضخم الذى يمارسه التليفزيون على الأطفال والوقت الهائل الذى يقضونه فى مشاهدته، وتعتبر هاتان الظاهرتان مرتبطتين. ويبدو أن كاتب تلك المحاولة شديد الاطلاع على هذا الموضوع، وهو يتحدث فيه بطريقة موضوعية وواضحة. ويستخلص فى نهاية مقاله: إننا لا يمكن أن نلوم الأطفال على الوقت الذى يقضونه أمام التليفزيون، فالخطأ ليس خطأهم إن استقبلوا من خلاله معلومات مشوهة، كما أن التحليل الذى قام به للموقف يتركنا دون سلاح حقيقى حيث إنه يرى أن التليفزيون ليس مدعواً لأن يختفى، وأن الاحتمال قليل فى أن يشكل التليفزيون يومًا ما بيئة مشجعة لعملية التنشئة الاجتماعية للأطفال".

أود إبداء ملاحظة وحيدة لى فى هذه النقطة. لدى الانطباع بأنه قد طرأ هذا العام تحسن ضئيل فى بريطانيا، ورغم أنه ما زال ضئيلاً جدًا، إلا أنه يستحق أن نتحدث عنه. مع هذا هل من الممكن التأكيد على أن الموقف لم يتضخم فى الفترة الأخيرة، فى الوقت الذى لم يكن يتوقف

فيه التليفزيون عن التراجع المحسوس على كل الأصعدة خلال تلك السنوات القليلة الماضية.

يقول لنا كوندرى – فيما بعد – بأن التليفزيون غير قادر على تعليم الأطفال ما هو ضرورى لتعليمهم. أو إذا أردتم: فالتليفزيون بنظامه الحالى لا يستطيع أن يلعب هذا الدور. أعتقد أكثر أن التليفزيون الذى يمكن أن يكون تأثيره شديد الضرر يمكن أن يكون على العكس آداة شديدة الأهمية للتعليم. إنه يمكن أن يكون كذلك، ولكن الاحتمال ضعيف فى أن يكون؛ لأن تحويله لهيئة ثقافية ذات إشعاع يمثل مهمة ذات صعوبة خاصة.

ولكى نتحدث عن الأشياء ببساطة، فإنه من الصعب أيجاد أشخاص قادرين على إنتاج برامج ذات قيمة خلال عشرين ساعة متصلة كل يوم. فى المقابل فسيكون شديد البساطة جداً أن نجد أناس قادرين على إنتاج برامج تافهة وسيئة عشرين ساعة فى اليوم، ربما مع برنامج وحيد عالى القيمة لمدة ساعة أو ساعتين. بالفعل نجد أنفسنا أمام مشكلة شديدة الصعوبة: بقدر ما يكثر عدد القنوات بقدر ما يصبح صعبا إيجاد مهنيين قادرون بحق على إنتاج برامج جذابة وذات قيمة عالية فى نفس الوقت نفسه.

إذن ثمة صعوبة أساسية، داخلية هى مصدر تراجع التليفزيون. انخفض المستوى؛ لأن قنواته تجد نفسها مضطرة أكثر فأكثر لإنتاج برامج تخاطب الأحاسيس لكى تحافظ على عدد مشاهديها. إن ما يخاطب الأحاسيس نادرًا ما يكون جيدًا.

إذا ما طُلب منى الآن شرحًا أقول "ما هو جيد" و"ما هو سيىء"، أنا لا أحب التحديدات. مع هذا أعتقد أن كل شخص مسئول، ويتمتع بعقل سليم يعلم ما الذى ينبغى فهمه من خلال "جيد" و"سيىء" فى هذا المجال. إنها نقطة لن أقوم بتعميقها أكثر من ذلك. ولنتذكر ببساطة أن كثير من الناس لديهم بالفعل مشكلات فى التعليم، خاصة فى أمريكا، حيث تحتل هذه الموضوعات مكانًا كبيرًا فى الجامعات. إذن ليس هناك نقص فى أناس قادرين على تمييز ما هو جيد وما هو ليس كذلك على خريطة التعليم. ويبدو لى أن هذه النوعية من الكفاءات يمكن أن تخدم فى خلق إنتاج تليفزيونى رفيع، حتى ولو عرفنا أنها لن تكون مهمة سهلة، لأنه ينبغى إيجاد أشخاص موهوبون ليخرجوا برامجا هامة وذات قيمة عالية فى الوقت نفسه.

تكمن هنا المشكلة الأساسية، ولكن هناك مشكلة أخرى وعلى نفس الأهمية: عدد القنوات ضخم لحد كبير. ولماذا يدخلون فى منافسة؟

إنه بكل بداهة لجذب المشاهدين، وليس لأغراض تعليمية. إن هذه القنوات لا تتبارى بالتأكيد فى إنتاج برامج ذات قيمة عالية ولا لأسباب أخلاقية، تحمل للأطفال شيئًا من فلسفة الأخلاق. تكمن هنا نقطة دقيقة ومهمة؛ لأنه لا يمكننا تعليم الأطفال فلسفة خلقية دون أن نقدم لهم محيطا سليمًا، يدعو للاهتمام وأن نقدم لهم أمثلة مؤسِّسة.

فى ظل هذه الشروط ما الذى ينبغى أن نقوم به؟ التحليل الذى قدمه كوندرى لا يترك لنا أى أمل، مع ذلك ففضله يكمن فى أنه لم يجعلنا نعتقد فى بعض القوائم الوهمية. إذا قدرنا تاريخ التليفزيون فسنعاين أنه فى بداياته كان جيدًا نسبيًا. لم نكن نرى فيه كل هذه البرامج التافهة التى عرفناها فيما بعد، كانت تعرض أفلامًا جيدة وبرامج أمينة. حقيقى أنه فى البداية كانت المنافسة تكاد تكون معدومة، ولم يكن طلب الجمهور قد تطور بعد. كان يمكن للإنتاج إذن أن يكون أكثر انتقائية.

من المهم أن نستمع إلى حديث منتجى برامج التليفزيون على هذا السؤال.

بمناسبة محاضرة أعطيتها منذ عدة سنوات فى ألمانيا، استطعت مقابلة مسئول قناة تليفزيونية، وكان قد جاء للاستماع إلىَّ مع بعض مساعديه. لن أذكر اسمه لأتفادى إعطاء بُعدًا شخصيًا لهذا الموضوع.

خلال مناقشتنا قال كلاماً مرعباً وكان قد بدا له بأنه غير قابل للنقاش بالطبع. قال "ينبغى علينا أن نقدم للناس ما ينتظرونه"، على سبيل المثال كما لو أن المرء يستطيع معرفة ما يريده الناس عندما يعتمد ببساطة على إحصاءات المشاهدة. كل ما يمكننا جنيه بشكل احتمالى هى مؤشرات حول ما يفضله المشاهدين من بين البرامج التى تُقدم لهم. وهذه الأرقام عاجزة تماماً عن أن تقول لنا ما الذى ينبغى علينا أو نستطيع اقتراحه، ومدير القناة هذا لا يعرف أيضاً ماذا سيختار المشاهدون إذا عُرض عليهم اقتراحات أخرى غير التى اقترحها. كان مقتنعا بالفعل بأن الخيار ليس ممكناً إلا من خلال ما قُدِّم لهم من قبل، ولم يكن لديه أى بديل آخر. دخلنا فى مناقشة غير معقولة بالفعل؛ حيث بدى له موقفه متماشياً مع "مبادئ الديمقراطية"، وكان يعتقد بأنه ينبغى عليه اتباع الاتجاه الأوحد والمفهوم بالنسبة إليه، والذى كان يعتبره "الأكثر شعبية". إنه لا شىء فى الديمقراطية يبرر أطروحة مدير القناة هذا، لكى يجعله يقدم برامج تدرجت فى التفاهة وتساوى مبادئ الديمقراطية؛ "لأن هذا هو ما ينتظره الناس". بهذه الحصيلة لا يبقى لنا إلا الذهاب إلى الجحيم! فالديمقراطية كما بينتها فى مكان آخر، ليست شيئاً آخر غير نظام للحماية من الديكتاتورية، ولا شىء يمنع داخل الديمقراطية بأن يقوم الأشخاص الأكثر تعليماً بنقل علمهم إلى هؤلاء

الأشخاص الأقل علمًا، بل على العكس فلقد عملت الديمقراطية دائمًا على رفع مستوى التعليم؛ إنه هنا طموحها الحقيقى. لم تكن تتوافق أفكار مدير القناة هذا فى شىء مع العقل الديمقراطى الذى سعى دائمًا إلى تقديم أفضل الإمكانيات والفرص للجميع. على العكس قادته مبادئه إلى أن يقترح على المشاهدين برامج أكثر فأكثر سوءًا، وأن يوافق الجمهور لكى يضيف قليلاً من العنف، والجنس وما هو شهوانى. وبالفعل بقدر ما نلجأ إلى هذا النوع من المشهيات بقدر ما ندفع الناس إلى إعادة الطلب عليها. ولأن هذه الممارسات هى التى يفهمها المنتجون بشكل أفضل، ولأنها تعمل بسهولة على جذب الجمهور، فيتم التنازل عن اقتراحات أكثر صرامة. محاولين إضافة نوع من الفلفل الحار على هذه البرامج.

هذا ما تم إنتاجه على مدى سنوات منذ ظهر التليفزيون: نضيف دائمًا كثيرًا من الفلفل الحار على وجبات ذات نوعية هابطة لكى نمرر طعمها السيئ أو الكريه. كان عمرى فى حدود الأربعين عامًا عندما بدأت البرامج الأولى للتليفزيون، وتناقشت فى حوار حيوى لحد ما مع امرأة تعمل دكتورة فى علم النفس، وكانت مكلفة من قبل الحكومة البريطانية لدراسة إذا ما كان التليفزيون يمثل خطرا أو لا على الأطفال. جاء

حكمها على الوجه التالى: لا يشكل التليفزيون أى خطر عليهم. بلا شك وصلت إلى هذه النتيجة بعد أن شاهدت بعض برامج التليفزيون، الذى لم يكن فى هذا الوقت إلا فى بداياته، وقد وصلت لحكمها على هذه القاعدة. وتبنت الحكومة البريطانية هذا الحكم، ولم يعد أحد يهتم بهذه المسألة. إنه بداية من هذه اللحظة بدأ مستوى الإنتاج التليفزيونى فى الهبوط، ببطء وثقة معًا، حتى العام الماضى تقريبًا عندما جلبت عددًا الجرائم ومشاهد العنف المقدمة فى برامج من أجل الأطفال جلبت معارضات شديدة، وهذا التراجع شديد الانتظام تباطأ بشكل نسبى حتى الآن.

منذ ثمان سنوات وأثناء محاضرة قمت بمساندة أطروحة ترى أننا نربى أبناءنا على العنف، وأن هذا الوضع لن يتوقف عن الاتساع إذا ما لم نتدخل؛ لأن التغير يستعير دائمًا الطريق الأكثر سهولة. بتعبيرات أخرى نتجه دائمًا حيث يمكننا أن نحل الصعاب والمشكلات بأقل المجهودات.

فالعنف والجنس، وما هو شهوانى هى الوسائل التى يلجأ إليها بسهولة شديدة منتجو التليفزيون: إنها طريقة مؤكدة، لديها القدرة دائمًا على إبهار العامة. وإذا ما عانوا ذلك، يكفى زيادة الجرعة. ولعل من

المحتمل جدا أن تتحرك مرة أخرى هذه الآلية حتى ولو كان الوضع قد تحسن. لا أعرف التليفزيون الإيطالى، إلا أن هذا ما يحدث فى بريطانيا والولايات المتحدة. أحصينا من الحالات عدداً ليس بالهين عندما اعترف مرتكبو الأفعال الإجرامية بأنهم قد استلهموا ما كانوا قد شاهدوه فى التليفزيون. هناك أيضًا حالة هذين الطفلين فى العاشرة والنصف من عمرهما وقد قاما بخطف وقتل طفل صغير فى العام الثانى من عمره فى فبراير سنة ١٩٩٣ فى ليفربول وبدون أى دافع. أثار هذا الموضوع كثيرًا من الجلبة وأقلق بعمق الرأى العام: فلم نكن نعرف قبل ذلك عن فعل بهذه البشاعة. فعلى وطيس النقاش ولم يعدم المرء فى إيجاد رابط بالتليفزيون، إلا أن العديد من الخبراء أخذوا يعلنون أنه كان ثمة خطأ حول خطة علم النفس. إنه لهذا أقوم باتخاذ موقف بسيط وواضح حول العلاقات النفسية الموجودة بين الأطفال والتليفزيون.

عندما نتحدث عن الفكر، فينبغى أيضًا أن نشير إلى فكرة "التوجيه فى العالم"، وهى تلك القدرة الأساسية على ممارسة الفكر. عن ماذا نتحدث؟ إنه إجمالاً كفاءة إيجاد طريقنا فى العالم. وهذا هو ما يدفعنى بعيداً فى الخلف. هذا الموضوع كثيرا ما تعرضت له، وعلى الرغم من أنى لم أكتب إلا قليلا حول هذه النقطة المحددة، فيمكننا أن

نجد عناصر منها فى عديد من الكتب التى كرستها عن نظرية المعرفة. ومن أجل ما يمثل علاقات بين الأطفال والتليفزيون، نجد انفسنا أمام مشكلة تطور: عندما يأتى الأطفال إلى العالم، ينبغى عليهم إكمال مهمة صعبة، ألا وهى التكيف مع محيطهم. ما أعرفه أكثر من ذلك، أن هذا المفهوم شديد البساطة لم يدخل آبدًا فى أى نقاش حول التليفزيون. بعبارات آخرى بما تحصل عليه منذ البداية؛ فالأطفال مؤهلون ليستطيعوا التكيف مع الأوساط المختلفة التى سيقابلونها. هكذا يخضع تقدمهم الذهنى بشكل واسع لمحيطهم، وبما نسميه التعليم، إنه ببساطة الوسيلة التى نستخدمها لكى نتصرف فى هذا المحيط ونجعله مشجعًا لنموهم. نبعث بالأطفال إلى المدرسة لكى يستطيعوا تعلم بعض الأشياء. لكن ما معنى "يتعلم"، فى الحقيقة؟ و"يُعلِّم"؟ ما الذى نبحث عمله؟ بالفعل، ما نريده، هو أن يتصرفوا فى محيطهم بطريقة تجعلهم قادرين على الاستعداد لمهامهم المستقبلية: يصبح مواطنا، يكسب نقودا، يصبح أبا لجيل جديد،..إلخ. إنه لهذا كل شىء يتعلق بالمحيط، مما يعود إلى القول بأننا الذين شكلنا الجيل الماضى، تقع علينا مسئولية إعداد أفضل محيط ممكن. إنه ينبغى أن نرى جيدا أن التليفزيون يشكل جزءًا من محيط الأطفال، وإنه لهذا أيضا فنحن مسئولون، ما دام التليفزيون من عمل بنى الإنسان. غالبًا ما كانت لدى الفرصة خلال حياتى لأنشغل بمشكلات

التعليم. تعلمت كثيراً خاصة فى التواصل مع الأطفال ذوى الظروف الصعبة، وهم فى أغلبهم منحدرين من عائلات يهيمن عليها العنف. كانت الأمهات ربما دائما فى هذه البيوت ضحايا لشراسة أزواجهن؛ وعموما كان هؤلاء الأزواج كحوليون (يدمنون الكحول)، ويطبع سلوكهم الحياة العائلية كلها. إنه هنا مخطط معتاد يجد الأطفال فيه أنفسهم فى مواجهة محيط عنيف. فى أيامنا فقد غيَّر العنف مكانه واستولى على شاشات التليفزيون؛ حيث يفكر الأطفال فى العنف يوما بعد يوم خلال عدة ساعات. يبدو لى – من خلال خبرتى – أننا نصل هنا لنقطة شديدة الأهمية، وحتى جوهرية. فالتليفزيون ينتج العنف ويقدمه فى المنازل التى بطريقة أخرى لم تكن تعرفه.

والآن فلننظر ما الذى يمكن عمله. فلنضع نحن السؤال أولاً: "هل يمكننا عمل شىء ما؟" كثيرون ممن يفكرون مثل چون كوندرى، وهو ليس لديه ما يفعله لهذا، خاصة فى بلد ديمقراطى، أولاً لأن الرقابة لا تتفق مع الديمقراطية، وأيضا لأنه ليس لها تأثير على التليفزيون بفعل أنها تتدخل دائما بعد فوات الأوان، ولأنه عمليا مستحيل إعداد "رقابة وقائية" على البرامج. سيمكننا على أقصى تقدير التدخل لدى المسئولين الذين ينتجون برامج تسمح بمكان هائل للعنف، إلا أن هذا ليس منهجا مسموعا لدى مجمل النظام التلفزى.

هذا هو إذن فى بضع كلمات اقتراحى، وهو مستوحى من البروتوكول الذى يخضع له عموما الأطباء. فللأطباء سلطة مهمة على حياة وموت مرضاهم، وكان يجب بالضرورة أن تخضع هذه السلطة لنوع من المراقبة. فالأطباء مراقبون عن طريق هيئاتهم الخاصة، تبعا لمنهج غاية فى الديمقراطية. وتحوز كل البلدان المتحضرة على تلك الهيئات، إضافة إلى قانون يحدد وظيفتها. أقترح أن تعد الدولة شكلا مشابهًا تضعه أمام كل هؤلاء الملتزمين بإنتاج البرامج المتلفزة. أى فرد يشارك فى هذا الإنتاج ينبغى أن يكون حاملا رخصة أو شهادة أو تصريح، يمكن أن يُسحب منه نهائيا إذا ما تصرف بشكل يتناقض مع بعض المبادئ. وهكذا يمكن أخيرا وضع بداية لعملية تنظيم فى هذا المجال. كل شخص يعمل فى التليفزيون سيصبح إذن عضوا فى منظمة، وسيحصل على ترخيص. ترخيص يمكن أن يفقده إذا ما انتهك القواعد الموضوعة من قبل هذه المنظمة. وستكون الهيئة التى لديها السلطة فى سحب الترخيص شكلا من نظام ما، وأيضا تحت رقابة هيئة ما. سيشعر كل فرد بشكل دائم بأنه مسئول، ويمكن أن يغامر بترخيصه عندما سيقوم بارتكاب خطأ ما. هذه المراقبة الدائمة ستكون أكثر فعالية من الرقابة، إضافة إلى أنه فى مشروعى ترخيص لا يُمنح إلا بعد تدريب يعقبه امتحان.

وسيكون هدف هذا التدريب هو أن يفهم هؤلاء الذين يتجهون للعمل فى التليفزيون بأنهم سيشاركون فى عملية تعليم ذات أبعاد هائلة. كل من سيعملون بالتليفزيون ينبغى أن تكون لديهم روح التطوع ويعون بأن لديهم دورًا ما كمعلمين، وهذا على اعتبار أن التليفزيون يشاهده الأطفال والمراهقون.

عندما أُتيحت لى الفرصة للتحدث عن كل هذا مع مهنيين من التليفزيون، لاحظت أن كل هذا كان بالنسبة إليهم - وبشكل كلى - جديدًا، لم يعتبروا أبدًا أن عملهم يقع داخل هذا البعد، إلا أنهم كانوا يقرون بسهولة بهذا. إن ما ينبغى أن يتعلمه رجال التليفزيون من الآن فصاعدًا هو أن التعليم ضرورى لكل مجتمع متحضر، وأن مواطنى مجتمع كهذا - أى المواطنون المتحضرون الذين لديهم سلوك مدنى - ليسوا نتاجا للصدفة، ولكن لعملية تعليمية. إن الحضارة تنطوى بشكل جوهرى على التقليل من العنف. تلك هى وظيفتها الأساسية، وهو أيضًا الهدف الذى نتطلع إليه عندما نحاول رفع مستوى النزعة المدنية فى مجتمعنا. وفى رأيِّ فإن محتوى محاضرات التدريب ينبغى أن تتركز على الدور الأساسى للتعليم، وعلى مشكلاته وعلى اعتبار أن التعليم لا يحتوى فحسب على تعليم الوقائع، ولكن على الأخص توضيح مدى أهمية إلغاء العنف. ينبغى أيضًا أن يُشرح أثناء هذا التدريب، كيف يستقبل الأطفال

الصور؛ وكيف يهضمون ما يقدمه لهم التليفزيون؛ وكيف يحاولون التكيف مع محيط مطبوع بالتليفزيون؟ ينبغى توضيح أن الأطفال مثل بعض أعداد من الراشدين، لا يميزون دائمًا بين الخيال والواقع. حدث فى إنجلترا أن سيدة ما عملت على معاقبة الممثل الذى تقمص دور الإجرامى. يبدو أنه أحد أهداف الخيال عمومًا، ولكل أنواع الخيالات التى يقترحها التليفزيون هو إظهار مشاهد حية وواقعية ما أمكنها ذلك.

الآليات العقلية التى تعمل على أن نميز أو نخلط بين الحقيقة والخيال ينبغى أن تكون مطروحة لدى هؤلاء الذين يعملون فى التليفزيون؟ لأنه بالنسبة للكثيرين يظل هذا شيئًا غير معروف. الكثيرون يجهلون كل التأثيرات التى يمارسها إنتاجهم على الوعى الباطن للأطفال، مثلما يمارسها على الراشدين. بديهيًا أن هذه التأثيرات ترتبط بمستوى ذكاء المشاهدين، ولكن أيضًا بعوامل أخرى: إنه حول هذا ينبغى أن تتركز المحاضرات. وأن تعالج باهتمام خاص المخاطرة بأشخاص ضعفاء يمزجون بين الحقيقة والخيال، والتأثيرات التى يمكن أن يلحقها هذا الغموض.

من يتركون أنفسهم لخداع التليفزيون لا يحوزون دائمًا على مستوى تثقيفى ونضج كافٍ ليميزوا بين الحقيقة والخيال. وعلى رجال التليفزيون أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه المشكلة أثناء هذا التدريب. ولعل

الاختبار سيسمح للمتقدمين أن يبينوا ليس فقط أنهم تمثلوا المحاضرة، ولكن أيضا وعوا بمسئوليتهم كمعلمين. وبأنهم سيلتزمون بالتصرف نتيجة لذلك. ينبغى أن يعرف أى شخص سيعمل فى التليفزيون الأخطاء التى لابد من تفاديها بطريقة تجعل ألا يكون لنشاطه نتائج سيئة على الخريطة التعليمية. ولا ينبغى إذن أن يخص هذا الترخيص فقط المنتجين، وهم الذين يتحملون المسئولية الكبرى فى اختيار البرامج، ولكن أيضا التقنيين، والمصورين..إلخ؛ حيث إنهم جميعًا يتعاونون فى الإنتاج التلفزى، ومن ثم يقع على عاتقهم جزءًا من مسئولية بثها. أيضا يمكن أن يقول كل موظف إلى مديرى الإنتاج: "لن أتعاون فى هذا البرنامج؛ لأنى سأحترم التزاماتى، ولأنى لا أريد المغامرة بفقد ترخيصى". بنفس القدر سيكون المنتج خاضعًا لمراقبة ممن يعملون تحت إمرته. والاقتراحات التى أدفع بها هنا ليس لديها فقط طابع العجالة، إنها تتكافأ أيضًا مع ضرورة مطلقة لوجهة نظر الديمقراطية. ذلك ما أردت قوله باختصار فالديمقراطية تعمل على إخضاع السلطة السياسية للضبط. إنه هنا طابعها الجوهرى؛ فوجود سلطة سياسية غير منضبطة داخل الأنظمة الديمقراطية أمر لا ينبغى أن يكون. أصبح التليفزيون اليوم سلطة ضخمة؛ حتى إنه يمكننا القول بأن التليفزيون وبشكل ضمنى يظل أهم السلطات وكأنه حل محل صوت الله. وسيظل هكذا ما دمنا سنستمر فى السكوت على انحرافاته. اكتسب التليفزيون سلطة شديدة الإتساع فى

قلب الأنظمة الديمقراطية. ولا يمكن لأية ديمقراطية أن تحيا إذا ما لم نضع حداً لهذه القوة المطلقة. ومن المؤكد بأنه يتم سوء استغلال هذه السلطة اليوم، خاصة فى يوغوسلافيا، إلا أن هذا الاستغلال يمكن أن يحدث فى أى مكان. الاستعمال الذى تم فى روسيا للتليفزيون هو أيضاً سوء استغلال. لم يوجد التليفزيون تحت حكم هتلر لكن كانت الدعاية الخاصة به منظمة على وتيرة بقدرة تقريباً مكافئة. هتلر جديد سيحوز مع التليفزيون على سلطة دون حدود.

لا يمكن إيجاد ديمقراطية إذا ما لم نُخضع التليفزيون لمراقبة ما، أو لكى نتحدث أكثر تحديداً فإن الديمقراطية لا يمكن أن تعيش طويلاً ما دامت سلطة التليفزيون لم تحجم كلية. بالفعل فأعداء الديمقراطية أنفسهم حتى الآن ليس لديهم إلا وعى بسيط بهذه السلطة. عندما سيفهمون بحق ما الذى يمكن فعله بالتليفزيون، فإنهم سيستخدمونه فى كل الحالات، بما فيها المواقف الأكثر خطورة. لكن آنئذٍ سيكون الوقت متأخراً. إنه الآن لابد من أن نعى بهذا الخطر، ونخضع التليفزيون لعملية ضبط عن طريق الوسائل التى أشرت إليها.

وتلك حسب ما يبدو لى هى الطريقة الأفضل، وربما الإمكانية الوحيدة. ولكن الوسائل الأخرى أيضًا هل يمكن لها أن تقترح أفضل مما اقترحت، يبدو لى أنه لم نستمع إلى أى منها حتى وقتنا الحاضر.



چون كوندرى

سارق للوقت،
وخادم غير أمين

يتقدم التطور البيولوجى ببطء مميزًا بعض التحولات عن تحولات أخرى عبر القرون وآلاف السنين. إلا أن التطور الاجتماعى يخضع لنظام آخر؛ إذ تقويه الاكتشافات والاختراعات، فيأتى غالبا سريعا وغير متوقع. فلا تثير بعض الاختراعات إلا تغيرات طفيفة، بشكل عام جيدة، وأحيانا سيئة: مثل بارود المدافع على سبيل المثال. ولكن ثمة اختراعات أخرى تقوم بتعديل الثقافة والمجتمع بطريقة عميقة وغير متوقعة، وتلك لا يمكن أن تُفهم إلا بالنظر إلى الماضى.

اليوم ثمة شىء من القلق العميق من الطريقة التى يتربى عليها الأطفال الأمريكيون. إنه واقع لا يقبل الجدل. ونعطى لهذا الأمر تفسيرات شديدة الاختلافات، تعود بوجه عام للتحولات السريعة التى حدثت فى السنوات الأخيرة. فأدى نمو وسائل النقل إلى تعديل النسيج الحضرى، عندما دمرت الأحياء القديمة، وفككت أيضًا البنية الاجتماعية التحتية. فبدت الأسرة فاقدة الوجهة بشكل كامل، وتسير المدرسة على

وجه سيىء إذا سارت. وتبين الامتحانات المطروحة على التلاميذ أن المستوى الدراسى فى انخفاض مستمر منذ عشرين عامًا، ويبدو أنه ليس هناك أى تحسن واضح. كما يرتفع عدد المنتحرين والقتلة يومًا بعد يوم. ويظهر على كثير من الأطفال علامات من الإضطرابات الجسمية والنفسية.

هل يمكن أن يكون التليفزيون مسئولاً عن هذه الوضعية؟

لكى نفهم الدور الذى يلعبه التليفزيون فى حياة الطفل الأمريكى، فمن المهم أن نرى أولاً ما هى احتياجات الأطفال. كيف يصبح طفل ما عنصرًا نافعًا للمجتمع؟ كيف يساعدنا عدم نضجه فى إعداده لسن الرشد؟ فيمَ يستخدم وقته؟ فالزمن وحده قياس صالحة؛ لأنه على الرغم من الثروة والحظ، فإنه يبقى عادلاً لدى الجميع. فخلال يوم من أربع وعشرين ساعة. يبقى الأطفال فى المتوسط يقظين ست عشرة ساعة. ونحصل نحن أيضًا على مائة واثنتى عشرة ساعة يقظة أسبوعيًا وعلامَ هذا تستند دراستنا؟ بماذا يهتم الأطفال الأمريكيون اليوم، خاصة من هم بين الثالثة والحادية عشرة، خلال هذه المائة والاثنتى عشرة ساعة؟ كان معظم الأطفال، حتى بداية القرن الماضى، يقضون هذا الوقت داخل مجتمعاتهم المحلية، وفى القرى التى وُلدوا فيها، يلاحظون الراشدين فى

أنشطتهم اليومية. كان الأطفال يكتسبون الاستعدادات والمواقف التى كانت تسمح لهم فيما بعد بالتكيف مع المجتمع المحيط بهم. وعندما يصبحون راشدين، فإن تلك القدرات والاستعدادات التى نمت فى الطفولة كان يستفاد بها فى الممارسة. وهكذا ما كنا نتعلمه داخل إطار العائلة أثناء جيل ما يستخدم كنموذج للجيل التالى. وهكذا كان يعد الطفل نفسه للعمل وللحياة؛ كان يتعلم معرفة العالم كما هو موجود للعائلة وللطائفة.

مع الثورة الصناعية بدأت الأشياء تتغير. فبدأ الناس فى أعداد كبيرة شيئًا فشيئًا يتركون المجتمعات المحلية التى عاشوا فيها حتى هذه اللحظة لكى يرحلوا نحو المدن القديمة والجديدة من أجل البحث فيها عن شروط أفضل للعيش. وفى هذا العالم الحضرى والصناعى تميز تعليم الأطفال بطريقة أخرى مخالفة؛ إذ جاءت المدارس لتكمل التعليم المكتسب عن طريق الملاحظة اليومية. وفى خضم هذه السنوات الأخيرة تطور الموقف أيضًا بشكل يفوق التصور. من المعروف أن الطفل الأمريكى يقضى فى المتوسط أربعين ساعة أسبوعيًا فى مشاهدة التليفزيون أو فى ألعاب الفيديو. وإذا أضفنا أربعين ساعة أخرى، مع حساب الوقت اللازم للمواصلات والواجبات، لن يبقى له سوى اثنتين وثلاثين ساعة ليقضيها

مع رفاقه وعائلته. ولكى نأخذ فكرة عن ذلك الذى أمكن للأطفال تعلمه من العالم المحيط بهم، وفهم أنفسهم، ينبغى أن ننظر عن قرب إلى ما يُشكِّل بيئتهم: بمعنى العائلة، والمدرسة، والجيران، وبانتباه خاص التليفزيون. فالدور الذى يلعبه التليفزيون فى البيئة المحيطة، وعلى الأخص فى عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال، يستحق أن يُنتبه إليه باهتمام شديد.

لماذا يشاهد الأطفال التليفزيون؟

عندما يجلس الأطفال أمام جهاز التليفزيون، فإن دوافعهم تختلف عن دوافع الراشدين. فالراشدون باعترافهم شخصيا يشاهدونه بشكل عام "للتسلى". أغلب الأطفال، إضافة إلى أنهم يجدونه أيضا مسليا، فإنهم يشاهدونه ليفهموا العالم بشكل أفضل. وبوجه عام يعطى الراشدون للتليفزيون أهمية أقل ويشاهدونه بما يمكن أن نطلق عليه "سذاجة واعية": لكى يتسلوا، يوافقون على شروحات غير عقلية، وتبعا لذلك الإطار وتلك المسلمات التى تفترضها لهم هذه البرامج، لن يكون لديهم أية غضاضة فى الموافقة على أن شخصا ما طار فى الهواء، أو أصبح غير مرئى، أو قام بأفعال فوق طاقة البشر. إنه من حيث التعريف، فإن المشهد الخيالى لا ينبغى بالضرورة أن يكون ممكنا، فعليًا أو حقيقيًا.

على العكس من هذا، فإن الأطفال، مع تسليتهم بهذا الجانب المسلى من التليفزيون، فإنهم يجدون عناءً كبيرًا فى التمييز بين الحقيقة والخيال، بسبب فهمهم الضيق للعالم. إنهم إذن أكثر هشاشة من الراشدين. فضلاً عن ذلك فإن تأثيرات العائلة، والمحيطين بهم، والمدرسة و التليفزيون – كل هذه التأثيرات تمارس عليهم. ولا يستطيع الأطفال بسهولة فرز المعلومات التى تأتى عن طريق كل واحدة من هذه السياقات المختلفة. وأيضا لا يمكن أن يكون لمعلومة ما قيمة إلا فى صلتها بالمعلومات التى تعطيها السياقات الأخرى. وجزء كبير مما يتعلمه الأطفال بالمدرسة، يضيع دون مساندة الأسرة. إذا ما كانت المدرسة أكثر فعالية، فإن سلطة التليفزيون تتراجع، كما أن المحيطين بالأطفال يمارسون سلطة وتأثيراً خاصًا لا تملكه العائلة ولا المدرسة.

الوقت والمحتوى

يستند التأثير الذى يمارسه التليفزيون إلى عاملين: الوقت الذى نقضيه فى مشاهدة التليفزيون، ومحتوى البرامج. بقدر ما يقضى المشاهد وقته أمام التليفزيون، بقدر ما يعانى تأثيره، كما يخضع هذا التأثير، بمعيار ما للمحتوى. فى حين أنه تأكد أن الوقت الذى نمضيه فى

مشاهدة التليفزيون كان يؤثر على المشاهد، بصرف النظر عن المحتوى، ولنختبر إذن بعض معطيات هذا الموضوع.

ظهر التليفزيون فى الولايات المتحدة فى سنوات الخمسينيات. فى أول بداية هذا العقد، كان يملك حوالى ١٠٪ من العائلات الأمريكية جهاز تليفزيون، فى سنة ١٩٦٠ ارتفع هذا الرقم إلى ٩٠٪، وتقريبا كل من كانوا يملكون جهاز كانوا يشاهدون التليفزيون بشكل منتظم. وشكَّل هذا إذن تغيرًا عميقًا فى توظيف وقت الأمريكيين. إذا ما كان اختراع السيارة أوصل بالكاد ٦٪ من الأمريكيين فى قضاء وقتهم فى السفر (مع هذا سمحت بالسفر إلى مسافات طويلة جدًا)، فإن مجىء التليفزيون رفع عدد الساعات التى يكرسها الأمريكيون لوسائل الإعلام إلى ٥٨٪ حسب بعض التقديرات.

ومنذ سنة ١٩٥٠ فالوقت الذى تمضيه عائلة أمريكية متوسطة أمام الشاشة الصغيرة لم يتوقف عن التضاعف – إنه اليوم أكثر من ٧ ساعات يوميا. فيشاهد الأمريكى المتوسط التليفزيون حوالى ٤ ساعات يوميا أثناء الأسبوع وأكثر قليلا أثناء عطلة نهاية الأسبوع. وفى سنوات الثمانينيات عندما غزا الكابل وأجهزة الفيديو السوق، انخفضت نسبة المشاهدة للقنوات الأمريكية الثلاثة الرئيسية من ٩٠٪ إلى ٦٠٪ فى

اليوم. مع هذا فإن عدد الساعات التى يقضيها الناس أمام الشاشة الصغيرة ظلت قريبة من نفس النسبة الأولى؛ ما تغير فقط هو عدد القنوات. وهذه المعطيات الإحصائية صالحة لكل من الأطفال والراشدين على السواء. فيشاهد الطفل الأمريكى التليفزيون ٤ أو ٥ ساعات يوميا فى الأسبوع، و٧ أو ٨ ساعات فى عطلة نهاية الأسبوع، مما يرفع معدل الاستهلاك الكلى إلى حوالى ٤٠ ساعة أسبوعيا. وتشمل هذه الأرقام أفلام الفيديو، وألعابه، وبرامج الكابل. وبصرف النظر عن نوعية البرامج المقدمة؛ فالأطفال الذين يشاهدون كثيرا التليفزيون يقرأون أقل، ويلعبون أقل، وكثير ما تصيبهم البدانة، تلك هى "الآثار غير المباشرة" لهذا الاستهلاك المبالغ فيه للشاشة الصغيرة.

إذا ما كانت بدانة الشباب الأمريكى مشكلة قومية، هل سيمكننا القول لهذا إن التليفزيون يخلق أرضًا تشجع على هذا المرض؟ مع أننا لا نعرف بالضبط صلة السبب بالأثر بين التليفزيون والبدانة؛ فثمة أسباب وجيهة للاعتقاد فى هذا. فمشاهدة التليفزيون تجلب حالة سلبية كبيرة من الناحية الجسدية، وهذا يدفع الناس فى الغالب على استهلاك الأغذية، وهناك دراسات أوضحت انخفاض نسبة استفادة الجسم من الغذاء لدى المشاهدين، وخصوصا لدى الأطفال من زائدى الوزن. ومن

الممكن أيضًا أن تأتى إعلانات الدعاية عن المنتجات الغذائية لتشجع على استهلاك الغذاء لدى المشاهد، خاصة وأن إعلانات الدعاية فى التليفزيون تقدم بشكل رئيسى الدعاية حول الغذاء.

التليفزيون مضيع للوقت. فعندما يشاهد الأطفال التليفزيون خلال ساعات، فإنهم يفقدون منافع أنشطة أخرى يمكنها على المدى البعيد أن تكون أكثر أهمية لنموهم، إلا أن هناك جانب آخر أكثر خطورة: المحتوى نفسه للبرامج وللإعلان يؤثر بعمق على مواقف واعتقادات وأفعال الأطفال.

يبدأ الأطفال بشكل عام فى مشاهدة الرسوم المتحركة منذ عمر سنتين. وفى سن السادسة يصبح أغلبهم، حوالى ٩٠٪ ممن تعودوا بالفعل على التليفزيون. وبين سن السادسة والحادية عشرة، تصبح المواقف الكوميدية أو الرواية المرئية، شيئًا فشيئًا أهم ما يشاهدونه.

يشاهد الأطفال الصغار الرسوم المتحركة؛ لأنها تحمل بشكل واضح "شفرات"، بمعنى أن كل فعل يتم تحديده عن طريق تأثيرات صوتية خاصة تهدف إلى مساعدتهم على الفهم وإلى جذب اهتمامهم.

وإذا كان انتباه الأطفال أغلب الوقت يتحدد بصعوبة؛ فذلك لأن محتوى البرامج ليس مفهومًا بشكل كامل لديهم. فيفهم الأطفال جزءًا واحدًا فقط مما يشاهدونه على عكس الراشدين. فلا يستطيع الأطفال

فهم الفقرات الطويلة، ولا دوافع وثبات الأشخاص المختلفة بشكل جزئى. وهم على وجه الخصوص غير قادرين على عمل الاختزالات، ولا فهم ما هو ضمنى.

فعندما يرون مشاهد للعنف، على سبيل المثال، فإنه من المحتمل أن يستنتجوا على طريقتهم أن "الأكثر قوة هو الذى يملك الحق"، وبالمقابل فلديهم صعوبة فى فهم ما هو دقيق من الرسائل، وأن بعض الأفعال تُبرَّر بشكل أكبر عن أفعال آخرى. وعلى العكس فهم يفهمون بدون صعوبة أن المرء يحصل عما يريده عندما يملك السلطة. وهذه الرسالة ما زالت تطبع بشدة الرسوم المتحركة "من أفعال ومغامرات" حلت محل المشاهد المباشرة التى كانت قد صورت لعصر معين لبرامج الأطفال. ولقد بيَّنا بإسهاب أن محصلة العنف المُقدَّم فى هذه البرامج كان ضخمًا وشديد الارتفاع عما فى البرامج المتوجهة للراشدين فى ساعات الذروة من المشاهدة. وبيَّنت دراسة حديثة أنه ثمة خمسة وعشرون فعلاً عنيفًا فى المتوسط كل ساعة فى برامج الأطفال، وخمسة فقط فى برامج الاستماع الكثيف. وتسرد الرسوم المتحركة "بالأفعال والمغامرات" تفصيلا "شئون السلطة".

هل لهذه البرامج تأثير على سلوك الأطفال؟ بعض الأبحاث التى تمت منذ بداية سنوات الستينيات – دراسات تجريبية شملت أعدادًا

صغيرة من الأطفال، وأيضًا أبحاثًا واسعة أُنجزت فى أوساط مختلفة، وقد استخدمت تقنيات شديدة التنوع - تتفق فيما بينها على استخلاص أن الأطفال الذين يشاهدون كثيرًا التليفزيون هم أكثر عدوانية من الذين يشاهدونه بشكل أقل. فلا تؤثر المشاهد العنيفة فقط على سلوكهم، ولكن أيضًا على اعتقاداتهم وقيمهم. فعلى سبيل المثال، الشباب الذين يشاهدون كثيرًا التليفزيون يخشون كثيرًا وبوجه عام عنف العالم الواقعى. وبالمقابل ثمة آخرون فقدوا الإحساس بهذا العنف؛ فهم أقل صدمة أمامه ويتصرفون معه بأقل حدة.

فضلاً عن ذلك، فإن البرامج الموجهة إلى الأطفال تقدم الرجال والنساء فى أدوار مقولبة، وينتهى الأطفال الذين تعودوا على قضاء ساعات طويلة أمام التليفزيون إلى إعادة إنتاج هذه المخططات. يكفى رؤية الحالة التى عليها الشباب والشيوخ، والأطباء والبوليس، أو أيضًا المرضى العقليون لنرى كيف تُمثل على الشاشة لكى نعى أن التليفزيون يعطى صورة مشوهة للواقع.

وبقدر ما يكبر الطفل، بقدر ما يصبح قادرًا على فهم القصص المعقدة، من جهة لأنه أصبح يعرف بشكل أفضل العالم المحيط به، ومن جهة أخرى لأنه قد تعوَّد على شفرات ووظيفة التليفزيون؛ بحيث أصبح بدوره خبيرًا بالشاشة الصغيرة. منذ ذلك الحين يعرف الإعجاب بالأفلام

التليفزيونية، وبالمواقف الكوميدية. مثلما يحدث فى الرسوم المتحركة، فهذه البرامج تكون مصحوبة بضحك مسجل - حل هذا الضحك المسجل محل الأصوات الخلفية الخاصة، إلا أن التأثير الناتج على انتباه المشاهد وفهمه يظل نفسه. وعلى مدى سنوات أصبحت الروايات المتلفزة هى البرامج الأكثر شعبية. وقد أعفيت من العنف. وتعلن موجات الضحك المسجلة للأطفال بأن شيئًا ما مهمًا قد حدث، ويتعرف الأطفال بهذه الطريقة على الأعراف والقيم الخاصة بثقافتهم، وعلى وجه الخصوص على السلوك الجنسى.

وفى بداية سن المراهقة، نحو تسع أو عشر سنوات تتغير أذواقهم تبعًا لجنسهم، ويميلون إلى الاقتراب من الراشدين. ستفضل الفتيات الروايات المتلفزة؛ حيث يعتقدن بأنها تعلمهن شيئا ما من الحياة؛ وسيبحث الفتيان عن الحركة Action والمغامرة، غالبا لنفس الأسباب. تبين أفلام الحركة والمغامرات عموما الرجال فى أدوار الرؤساء، وهم ينتصرون على أحد "الأشرار"، ويعجب هذا النوع من السيناريوهات على وجه الخصوص الفتيان، كما أن المشاهد التى تقدم الأبطال من الذكور تعجب أيضا الفتيات، إلا أن المقابل ليس حقيقيا: فلدى الفتيان نزوع لتفادى البرامج التى تعطى الدور الرئيسى لإحدى الفتيات أو لامرأة. ولهذا السبب نجد أن البرامج المتلفزة للأطفال قليلاً جداً ما تعطى الأدوار الرئيسية للنساء: فببساطة شديدة هذه البرامج أقل دخلاً.

عندما يشاهد الأطفال التليفزيون، فهم لا يستمرون فى عمل ما كانوا يفعلونه دائمًا: ملاحظة المجتمع لمحاولة فهم أى مكان سينبغى عليهم شغله؟ هل يعلمهم التليفزيون أعرافنا، أو حتى أكثر من ذلك؟ هل تمامًا كما كان فى السابق يبدأ الأطفال فى تعلم أمور الحياة وقواعد المجتمع بملاحظة الناس الذين يعيشون فيه؟

يمكننا الإجابة بنعم وبلا. نعم يستمر الأطفال فى ملاحظة العالم، إلا أنهم لم يكونوا أبدًا وحدهم هكذا ليقوموا بهذا التعلم؛ فعندما يساعدهم الكبار فبشكل أقل فأقل. لا فالتليفزيون لا يعطيهم أخبارا عن العالم، بل يعطيهم فى الغالب صورة مشوهة. فهدف التليفزيون ليس إعطاء معلومات عن العالم الواقعى للأطفال. وعندما يحاول لعب هذا الدور فالنتيجة دائمًا شديدة الفقر. فالتليفزيون الحديث، خاصة التليفزيون الأمريكى، ليس لديه سوى هدف واحد: وهو أن يبيع. إنه بشكل جوهرى، أداة اقتصادية. فالقيمة التى لديه هى قيمة السوق؛ فبنيته ومحتواه هما انعكاس لهذه الوظيفة.

مهمة مسئولى عملية البرمجة هى النجاح فى الاستحواز على انتباه الجمهور والاحتفاظ به لأكبر وقت لكى يستطيعوا فيما بعد تمرير

رسالة إعلانية. إذا ما سيأخذ المرء فى اعتباره علم النفس الإنسانى، فإنها ليست مهمة سهلة. فالموجودات البشرية تسأم بسهولة، ويعتريها بسرعة عدم الاكتراث. و التليفزيون مجبر دائمًا على أن يغير من نفسه لكى يشد انتباهنا . فضلاً عن ذلك، فإن مصالحه تتحدد فى الحاضر المباشر؛ فالمشكلات التى لا يمكن أن تحل على المدى القصير لا تهمه. وهكذا فتمرد جينوهات لوس أنجلوس، التى كانت على رأس نشرات الأخبار خلال أسبوع، كان قد تم نسيانها خلال شهر، إذا ما افترض المرء أن التليفزيون يعكس جيدًا ذاكرة الجمهور.

فالحلقات والأفلام التليفزيونية ليس لديها أى سبب فى أن تأخذ بعين الاعتبار الواقع. وإذا ما كان تشويه الواقع يسمح بشد انتباه المشاهدين، لن يترددوا فى تشويهه. فالهدف الأول للتليفزيون هو كسب المشاهدة، و التليفزيون "التعليمى" لا يشذ عن هذا الأمر. حتى وإن لم يكن يهتم ببيع منتجاته، فهو فى حالة منافسة مع التليفزيون التجارى فيما يتعلق بالمشاهدة.

يعيش التليفزيون فى الحاضر، ولا يحترم الماضى، ويُظهر اهتماما أقل بالمستقبل. وعندما يشجع التليفزيون الأطفال على العيش وهم مقطوعون عن الماضى والمستقبل؛ فهو بهذا يصبح تأثيره مفجعًا. إن

واحدة من الوظائف الأولى للتعليم، فى البيت كما فى المدرسة، هى بيان إلى أى مدى يرتبط الماضى بالمستقبل، وكيف أن الحاضر ينجم عن أحداث الماضى، وكيف أن المستقبل يربط كلاهما بالآخر. فالتليفزيون محكوم بالوقت.

فى نهاية أى برنامج ينبغى أن تُحل جميع العقد وتُرفع كل الشكوك. فاللحظة هى لحظة بيع المنتجات. هكذا تكون الساعة هى الآمرة للمرور من برنامج إلى برنامج آخر، ومن ثم إلى منتجات أخرى. فى هذا الإطار على الأقل يستدعى التليفزيون المدرسة. عندما يبدأ تلميذ فى الاهتمام بموضوع ما خاص، أو عند البدء فى مناقشة جذابة أو مثيرة فى لحظة ما قبل دق جرس المدرسة، ليس ثمة إلا الخضوع لطغيان الساعة. الوقت انتهى: نغير الموضوع. يكون تأثير مثل هذه المواقف هو الانتقاص من أهمية التعليم وإعاقته؛ فهما يعلمان الأطفال أن يقاربوا كل شىء ولكن بطريقة سطحية. ما هو الغريب فى أن المدرسين يخلقون حالة فقد للتركيز عند تلاميذهم، ولأن هؤلاء التلاميذ لا يستطيعون القيام بعمل يستدعى المثابرة، حتى فيما يخص الموضوعات التى اختاروا دراستها بأنفسهم، لا يُعلِّم التليفزيون ولا المدرسة ما يتصل باهتمام الأطفال أبعد من فترة زمنية ما، وهذا مما لا يشجع البحث عن المعرفة.

ولا يبرهن التليفزيون على أى حب حقيقى للاستطلاع، وهو فى الغالب ما يخلق عيبًا لدى الأطفال الذين تعودوا على مشاهدته طويلاً. إنه نظام كلى العلم بامتياز،لا يترك مكانًا لأى سر. سينبغى وقتًا لاختراق الأسرار الحقيقية، وهذا يفترض منذ البداية معارف حقيقية ومواقف فعلية لتنشيطها.

يحدث أن تكرس نشرات الأخبار بعض لحظات لسر ما حقيقى، إلا أن الأطفال لا يهتمون إلا قليلا بنشرات الآخبار؛ إذ يفضلون مشاهدة برامج أخرى، مما يتحدث بعضها من جهة أخرى عن وقائع غامضة. إحداها، "غوامض لا حل لها"، لا تحكى عموما إلا القصص التافهة: مثل الطبق الطائر الذى هبط بمدينة نيوجيرسى، على سبيل المثال، أو بعض الأحداث الخيالية الأخرى من النوع نفسه. وتلك ليس لها أية علاقة بالحقيقة، ولا بأى سر كان.

إذًا، كما نقول، إن الأطفال اليوم فظون فى تعاملهم البعض مع البعض الآخر، إذا كانوا لا يعرفون معنى الرحمة، إذا ما كانوا يستهزئون بالضعفاء ويحتقرون مَنْ فى حاجة للمساعدة، فهل هذا يعود إلى ما يشاهدونه فى التليفزيون؟ فى الحقيقة يحتل الفقراء والمساكين الشاشة الصغيرة بشكل نادر، وعندما يظهرون على الشاشة فهم يُقدمون

فى الغالب الأعم بشكل مثير للسخرية. ففى التليفزيون، مفتاح السعادة هو الثروة؛ إذ نقدر الأغنياء الذين يعيشون فى بيوت فخمة ويتنزهون فى السيارات الليموزين اللامعة.

والأكثر عبثية أننا لا نُظهر أبدًا الناس أثناء عملهم، ولا الكيفية التى اكتسبوا بها الأملاك التى يقومون بعرضها. ولا يقدمون أية صلة بين الثروة والعمل. والأطفال الذين يفضلون الحلول الأكثر سهولة يستوحون السعادة بالطريقة التى يحددها التليفزيون - بمعنى امتلاك ممتلكات مادية، إلا أنهم لا يعرفون ما ينبغى عمله للحصول عليها. وكيف سيعرفون؟ فبالنسبة للتليفزيون، إظهار أناس وهم يعملون يعتبر لعنة، وقت مهدر؛ إذ سيصبح البرنامج مملاً، وهو ما لا يمكن التسامح معه. فكل لحظة فى التليفزيون ينبغى أن تحمل إثارة، وكل حدث ينبغى أن يجذب الانتباه. إنه لهذا السبب يستحيل إظهار الصلة التى توجد بين العمل والثروة، أو الإيماء إلى موضوعات صعبة التقديم.

أى تعليم يقدمه التليفزيون؟

كما يقول نيقولا جونسون Nicholas Johnson، وكان عضوا باللجنة الفيدرالية الأمريكية للاتصالات، أن " التليفزيون دائما تعليمى، ولكن هل سينبغى معرفة ما يقوم بتعليمه". ولنأخذ بعين الاعتبار بعض

الحالات الخاصة. فمنذ حوالى عشر سنوات انطلقت البلاد فى حملة على ما أسميناه "الحرب على المخدرات".

وأقرت الغالبية العظمى من الناس بالبعد التربوى لهذه الحملة باعتباره عنصراً جوهرياً. فى إطار هذه الحملة مولت منظمات مختلفة منها Partner Ship For a Dyug Free America رسائل دعائية موجهة لكى تبث بالتليفزيون، كانت مدة هذه الرسائل قرابة الثلاثين ثانية، وكانت تحض الجمهور، خاصة الشباب، على تفادى المخدرات. نجهل التأثير الذى أحدثته هذه الرسائل القصيرة، إلا أن المعطيات النادرة التى تم جنيها يبدو أنها تشير إلى أنها لم تحدث سوى تأثير ضعيف. لماذا؟

واحد من الأسباب المحتملة لهذا الإخفاق هو الآتى: فى الوقت الذى يحذر فيه التليفزيون بشكل مؤقت الشباب من المخدرات، يبث فى المقابل عدد كبير من الرسائل المشجعة على استعماله. لكى نتقصى عن مدى صحة هذا الافتراض ونسبته، قمنا أنا وسنتيا شيب Cynthia Scheibe، وتيم كريستنسن Tim Christensen، ببحث اختبرنا فيه الرسائل المتلفزة التى كانت مشجعة على المخدرات، والتى لم تكن كذلك. وقمنا باختيار وتشفير بعض الأعداد من البرامج المتلفزة التى كان قد تم برمجتها فى سنة ١٩٨٩ (برامج وفقرات إعلانية). كل الرسائل المتعلقة

بالمخدرات - الرسائل المشجعة (تظهر شخص ما أثناء تعاطيه للمخدرات فى جو من الإضاءة الشديدة)، تماما مثل الرسائل غير المشجعة (تظهر شخص ما فى الموقف نفسه، ولكن فى جو من الإضاءة الخافتة) أخذت فى الاعتبار. وحددنا أنفسنا فى دراستنا، على المشروبات الكحولية، والتدخين وعلى المخدرات - سواء المستنشقة، أو المدخنة، أو التى تدخل المعدة. عندما كان يظهر شخص ما وفى يده كأس لمشروب كحولى أو سيجارة، دون أن يعلن عن أى نتيجة سلبية، كنا نعمل على إدخال هذه الفقرة فى فئة "الرسائل المشجعة". وعندما كان يجد شخص آخر نفسه فى موقف مشابه، ولكن كان يعانى من أى أضرار كانت، كنا نعتبر هذا "رسالة غير مشجعة".

وهكذا أثناء سته وثلاثين ساعة من البرامج المشاهدة التى حصلنا عليها خلال يومين عاديين اكتشفنا ١٤٩ رسالة لديها علاقة بالمخدرات؛ إذ كان ثمة ١٢١ رسالة مشجعة من هذا الإجمالى (٨١,٢٪) و٢٢ رسالة غير مشجعة (١٤,٨٪)، و٦رسائل كانت غامضة. بالإجمال فثمة ست رسائل مشجعة أمام كل رسالة غير مشجعة، ولبعض المخدرات كانت النسبة مرتفعة أيضًا ولحد كبير: فيما تعلق بالكحول، على سبيل المثال، فثمة عشره رسائل مشجعة أمام أية رسالة غير مشجعة.

وكان عدد ضخم من الرسائل المشجعة موجودًا داخل الفقرات الإعلانية التى كانت تعمل على الإعلاء من قدر بعض المنتجات المشروعة: أدوية، بيرة، أو نبيذ؛ كنا نجد أيضا هذه الرسائل داخل بعض الأفلام، وكانت هذه الأفلام، بشكل عام، تقوم بتلميع وجوه هذه الشخصيات التى كانت تتعاطى بمرح كل أنواع المخدرات المشروعة - كحوليات، وسجائر - لكى تشعر بالراحة، أو تحتفل بنجاح ما، أو لكى ترفع من معنوياتها بعد فشل ما، أو للاستجمام بعد يوم مرهق. فى مقابل رسالة متلفزة تقول لنا: "ارفضوا المخدرات"، كان ثمة ست رسائل تقول لنا: إذا ما لم تشعروا بالراحة، خذوا شيئًا ما، ستكونون أفضل". هل لديكم أرق؟ خذوا مهدئًا. هل ترغبون فى التخسيس؟ خذوا ما يقطع الشهية. هل تشعرون بخوار القوى؟ خذوا منشطا، أو اشربوا بيرة، أو كأسا من النبيذ. وهكذا، فبينما تشتد حملات النفع العام فى إثارة حس الناس تجاه أخطار المخدرات ومقاومة الإفراط فى شرب الكحوليات، نجد أن معظم الرسائل المتلفزة تقوم بعكس ما يجب القيام به فى عالم تستخدم فيه هذه المواد على نطاق واسع. ماذا يعلم التليفزيون للشباب عن هذا الموضوع؟ ألم يكشف لهم فى الحقيقة، أن هذه المخدرات مشروعة، وأنها تشكل جزءا من ثقافتنا، وبطبيعة الحال، باستثناء تلك الموجودة على قائمة المخدرات غير المشروعة؟ ولا تختلف الصورة التى يقدمها التليفزيون

للجنس عن ذلك، فكثير من المراهقين، ومن هم أقل قليلا منهم فى العمر يرون فى التليفزيون وسيلة يستعلمون من خلالها عن هذا الموضوع. هذه المعلومات، وهى فى موضع آخر، ليست دائما سهلة التجميع تُشكِّل لهم هنا أهمية جد كبرى؛ فغالبية الآباء يجدون صعوبة فى الحديث عن الجنس مع أطفالهم. ويوضح استقصاء أُجرى فى سنة ١٩٦٩ أن الآباء والرفاق يشكلون المصادر الرئيسية للمعلومات حول الجنس، ولم نكن نتحدث بعد عن التليفزيون. وفى سنة ١٩٨٧ اعتبر ثلثا البالغين المستوجبين عن هذا الموضوع أن للتليفزيون تأثيرًا كبيرًا على النشاط الجنسى للشباب، وأنه لا يقدم صورة واقعية أو موضوعية عن الجنس. فى سنة ١٩٨٦ تم إجراء استقصاء على ١١٠ مراهقًا، تتراوح أعمارهم من ١٠ إلى ١٤ عامًا، لمعرفة أى البرامج المتلفزة يشاهدونها. وفيما بعد تم تحليل الطريقة التى كان يتم بها معالجة الأدوار الجنسية فيها. تمت معالجة الجنس بشكل رئيسى عن طريق اللغة، وليس عن طريق الصورة. وعندما كان يتم إثارة موضوع العلاقات الجنسية، كانوا يقدمون عمومًا مشهدًا لرجل وامرأة غير متزوجين. وكانت تشتمل الروايات المتلفزة المبرمجة لبعد الظهر على عدد كبير من المشاهد أو الإيحاءات الجنسية. وفى برامج المساء كان يقدم سلوك الحب والجنس بطريقة هزلية، بينما كانت التحليلات الأكثر واقعية محجوزة للبرامج المتأخرة جدًا، مثل

دالاس. وكان موضوع العلاقة المثلية L'homosexualité، وهو نادرًا ما يُثار بالتليفزيون يعالج غالبًا بطريقة كوميدية. وأخيرًا كان سلوك الجنس والحب الطبيعى قليلاً جدًا ما يقدم فى هذه النوعية من البرامج.

فمراهق ما متعود على مشاهدة التليفزيون بشكل منتظم يستقبل فى المتوسط فى العام ٢٥٠٠ رسالة حول الجنس. وحسبما يرى أحد الباحثين، "فالمشاهد الجنسية المثيرة تسبق مشاهد العنف، أو تستخدم سياقًا للعنف، أو أيضًا الجنس الذى أصبحت طريقته تثير الضحك العصبى. فى المواقف الكوميدية، وفى مشاهد المنوعات تجد الشخصيات نفسها، تتعانق، وتتحاضن؛ فتوحى مشاهد المداعبة، والإغراء بطقس من الحميمية الجنسية، وتقدم عمومًا هذه الرسائل وهى مصحوبة بضحكات مسجلة".

هل يمكن أن يستبد بنا العجب، فى ظل هذه الشروط التى تجعل أطفال اليوم يجدون صعوبة فى مقاربة موضوع الجنس؟ إذا ما كان التليفزيون غير قادر على إعدادهم للجنس، فهذا يعود لسببين: أولاً لأن الصورة التى يعطيها التليفزيون للجنس بشكل عام خاطئة ومشوهة، ثم أن التليفزيون لا يعلمنا شيئًا حول تنوع سلوك الحب، ولا حول الخيارات المتاحة لنا.

إن بنية الأخبار فى التليفزيون ليست هى الشىء الوحيد الذى يجب أن يقلقنا؛ ويعتبر نظامه القيمىّ بدوره عاجزًا. لقد خضعنا لتحليل قيمىّ أعلى من شأنه عدد كبير من مشاهد الدعاية والإعلان التى بُثت عام ١٩٨٣، واستخدمنا فى ذلك شبكة غالبًا ما كان يتم اللجوء إليها، وهى تبرز نوعين من القيم: القيم الآداتية (تلك التى تسمح للوصول لهدف معين) ثم القيم النهائية (تلك التى تمثل نهاية فى حد ذاتها)، وقد تعلمنا كثيرًا. فمثلاً يضفى البعض قيمة إيجابية على العمل؛ لأن ذلك يمنحه الأمان المالى، وبالتالى فحسب تعريفنا: العمل يعتبر قيمة آداتية والأمان المالى سيعتبر قيمة نهائية. وبتطبيقنا لهذه الشبكة تمكننا من الوصول إلى عدد من القيم الآداتية والنهائية. فالقيم الآداتية الأكثر احترامًا هى الأمانة والتضامن والمسئولية والتسامح. وتأتى على رأس القيم النهائية: المساواة السلام والجمال. وبتقنينا للقيم المأخوذة من عدد من الفواصل الإعلامية والمختارة عشوائيًا تم بشكل تدريجى رسم ملمح ما، دعتنا الدعايات الإعلانية لتقليده. ومن بين القيم الآداتية التى غالبًا ما كان يشار إليها فى الفواصل الإعلانية نجد: "أن تكون قادرًا"، "أن تكون

مستعداً لمساعدة الآخرين"، "أن تكون ماكراً"؛ ومن بين القيم الآداتية الأقل تمثيلا نجد "أن نكون شجاعًا"، "أن تعرف الصفح". ومن بين الإعلانات القائمة على المظهر الخاص، نجد القيم الأكثر تقديماً هى: "أن تكون جميلاً"، "أن تبدو شاباً". ولم تظهر قيمة "أن تكون مثيرًا جنسيًا" إلا فى ٦٪ تقريبًا من عدد الفواصل التى تم تحليلها.

ومن بين القيم النهائية، كانت القيمة الغالبة على كل القيم الأخرى: "السعادة"؛ إذ ظهرت هذه القيمة فى حوالى ٦٠٪ من الفواصل الإعلانية، بمعنى مرتين غالبا - على الأقل - عن أى قيمة أخرى. وصُنف "الاعتراف الاجتماعى" فى المستوى الثانى. وكانت القيم التى تدعو إلى الأنانية، والتمركز حول الذات (مثل السعادة الشخصية، وأهمية الحياة، والاعتراف الاجتماعى) أكثر بروزا من القيم الغيرية مثل المساواة أو الصداقة.

ويتغير هذا السلم القيمى وفقًا لأنواع البرامج: ففى برامج الأطفال مثلاً لا تبث نفس القيم؛ إذ الإعلانات الموجهة للأطفال تمنح عادة أهمية أقل للقيم المسماة بالغيرية، وبالمقابل فهى تؤكد على قيم أخرى كاللعب والتسلى والسعادة، ومن جهة أخرى فبعض القيم كمساعدة الآخرين، وأن تكون مطيعا، هى قيم لم تبث على الإطلاق. ويجب أن

تدفعنا هذه الهيمنة الشاملة لقيم الأنانية والنرجسية التى تظهر فى الإعلانات على حساب القيم الغيرية الأخرى يجب أن تدفعنا للتفكير فى هذا الأمر.

وتعد البرامج النوعية هى الأكثر صعوبة فى التحليل. أولاً لأنها تدوم أكثر، ولأن القيم فيها ليست سهلة الإدراك داخل حكاية معقدة مقارنة برسالة إعلانية تدوم ثلاثين ثانية. ومع ذلك يتعرض العالم الواقعى لنفس الالتواءات. فأغلب الناس مثلاً يعتقدون أن المجرمين لا يُعاقبون، وذلك لأن المحاكم شديدة التساهل معهم، وهم يظنون كذلك أن الأحكام التى تفرض عليهم قصيرة جداً. والحقيقة فى الواقع على عكس هذه الصورة. ففى أغلب المدن الأمريكية نجد أن ١٥ أو ١٨٪ فقط من الجرائم المسجلة تنتهى بالقبض على مرتكبيها، وأن العدد الأكبر من الأشخاص المقبوض عليهم يسجنون لفترة طويلة. ويوجد الآن فى السجون عدد يفوق ثلاث مرات مما كان عليه الحال فى العشر أو الاثنتى عشرة سنة الماضية، وتعتبر الأحكام الصادرة فى الولايات المتحدة هى الأطول فى أى بلد صناعى فى العالم الغربى.

من أين لنا هذه الأفكار إذن؟ كيف يمكن للوقائع أن تتباين إلى هذا الحد عن الرأى العام؟ وعندما تخلط الأشياء بهذه الطريقة على وجه

العموم بقصد التهويل منها، ألا يساعد التليفزيون عندئذ فى تبنى اعتقادات خاطئة؟ يتم القبض على المجرمين، على الشاشة، بينما يفلت هؤلاء عموما من كل الأحكام بفضل رأفة وتساهل القضاة. فالشرطة لا ترتكب أخطاء على التليفزيون أو نادراً ما تفعل: فهى تتعرف على المجرمين حتى قبل القبض عليهم. ومن كثرة رؤية هذا النوع من البرامج ينتهى الأمر بالناس إلى اكتساب شيئًا فشيئًا، ويومًا بعد يوم، وأسبوعا بعد أسبوع، نظرة خاصة للعدالة وللشرطة التى تمثل الأساس الفعلى للديمقراطية الأمريكية. فهذه البرامج وبالتأثير الذى تمارسه يوميـاً لا يمكن أن تكون بمنأى عن تأثيرها فى الاختيارات السياسية للمشرعين وللسلوك الاجتماعى.

إن القيم الأخلاقية التى يثبتها التليفزيون مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالطريقة التى تُقدِّم بها الأشخاص. ففى دراسة طلبنا من بعض المشاهدين تحديد مختلف اللقطات للأشخاص فى فيلم على سُلَّم قيمىٍّ أخلاقى موزع على الصفات من "حسن" إلى "سيئ". وكان على المشاهدين أن يقيموا أيضًا مدى تعاطفهم مع كل شخصيته. وتبين لنا أن الدرجة الأخلاقية بالتليفزيون مرتبطة بالشخص الذى يقوم بتمثيلها: فالسلوك الذى يُحكم عليه بأنه أخلاقى أو غير أخلاقى يرتبط بالشخص

الذى نعجب به أو نحبه أو على العكس من ذلك بالشخصية التى لا نحبها أو نتشكك فيها. وبالتالى فالأفعال التى تحدث فى الأوقات العادية وقد تُدرَك على أنها "غير أخلاقية" - المساومة، والقتل، والسطو ... إلخ - تصبح مقبولة إذا ما قام بها شخص يتمتع بتعاطف الجمهور.

يبدو أن الناس يستخدمون معايير أخلاقية مختلفة تبعًا لدرجة الألفة مع الشخصيات؛ فالأحكام الأخلاقية التى يستخدمها المشاهدون الذين لا يعرفون الشخصيات تكون مستقاة من قيم أخلاقية مثالية؟ وفى هذه الحالة لا يكون لمسألة التعاطف مع الشخصيات أهمية كبرى. وبالمقابل فالشخصيات المألوفة لدى المشاهدين "التى يعرفونها"، والتى يكنون لها بعض المشاعر تكون أحكامهم الأخلاقية عليها مختلفة. فما يرفض عند شخص غير معروف لديهم قد يبدو مقبولاً عند شخصية يعرفونها ويُكنون لها وداً. هذا هو إذن المسار الأخلاقى فى معظم البرامج التى قمنا بتحليلها، سواء كانت موجهة للكبار أو للصغار؛ إذ يُحكم على لقطة ما بأنها أخلاقية أو غير ذلك حسب الشخصية التى تقوم بها وليس تبعًا للفعل الذى قام به. إن القيم الأخلاقية التى تُعرض بالتليفزيون هى عادة ما تسيِّرها الشخصيات. فثمة شخصيات طيبة وأخرى شريرة؛ فالطيبون لا يمكن لهم أن يقوموا بأفعال الشر، والأشرار

لا يمكن لهم القيام بالأفعال الطيبة. يعتبر هذا التبسيط قريب منا: إنها رؤية أخلاقية لطفل فى الخامسة من عمره.

توضح كل هذه الأمثلة أن التليفزيون لا يمكن أن يكون مصدراً معلوماتياً نافعًا للأطفال، بل وقد يكون خطيراً. فالأفكار التى يقترحها خاطئة وغير واقعية؛ إذ لا يُقدم أى نظام متناسق، ولا ينفع نظامه الأخلاقى إلا لخدمة الاستهلاك. أما بالنسبة للمشاهد فهو لا يتعلم أى جديد نافع عن نفسه. هناك العديد من المظاهر تجعل من التليفزيون أداة تنشئة اجتماعية يمكن إدانتها. وبما أنه لم ينشأ لهذا الدور، فإن الأطفال الذين يشاهدونه تبعًا لهذا الاتجاه قد يتعرضون على الأقل لطفولة قريبة من الاضطراب.

ما العمل؟

يجب علينا أن نتوقف عن سوء استخدامنا للتليفزيون، وأن نتصرف الآن بداية من المعارف التى بحوزتنا. يستطيع بعض أولياء الأمور تقليص الوقت الذى يقضيه أطفالهم أمام التليفزيون، يكفى أن يستخدموا الحجة التى يقدمونها عندما يرفض أبناؤهم ألا يأكلوا إلا الكورن فليكس بالسكر: إن هذا نظام غذائى مضر بالصحة؛ إن الأضرار الناتجة عن التليفزيون عديدة؛ فهى أضرار شخصية واجتماعية

كما هى أضرار جسمية وعقلية، إلا أن كل الآباء لا يرغبون فى قول ذلك، بل فى الواقع فالكثير منهم غير مقتنعين بالآثار الضارة للتليفزيون.

لكن أولئك المقتنعون بهذه الأضرار يجب عليهم التحدث مع أبنائهم حول البرامج التى يشاهدونها والتعليق معهم على ما يبدو لهم خاطئ وخادع. قد يبدو هذا مفيدًا حتى وإن أظهرت أغلب الأبحاث أن الآباء والأطفال نادرًا ما يشاهدون برامج مجتمعين. وعدد قليل من الأسر هم الذين يتخيرون برامجهم فى المساء. ويتكلم الآباء المدركون للخطر مع أبنائهم حول البرامج التى قد يشاهدونها بعد الظهر ويوم السبت أو الأحد صباحًا. وقد يسمح هذا للأبناء بأن تكون لهم نظرة نقدية حول التليفزيون وحول المعلومات التى يقدمها.

إذا قبلنا بأن يشاهد الأطفال التليفزيون فيجب علينا بذل الجهد لتحسين البرامج التى توجه إليهم. ثمة عدد كبير من البرامج التربوية ذات النوعية ينبغى أن تجد التمويل اللازم. يجب الإكثار من عدد البرامج المفيدة للأطفال. وهذا لا يمنع بأن تكون فى الوقت نفسه مسلية. ويجب أن تدخل هذه البرامج إلى حلبة المنافسة مع البرامج التى تنتجها الشبكات التجارية. قد تكون المعركة قاسية، إلا أن المجابهة الحيوية من أجل صحة وسعادة الأطفال أمر ليس بالهين.

يجب على المدرسة أن تُعلم الأطفال كيفية استخدام التليفزيون سواء تعلق الأمر بالبرامج أو الإعلانات. يجب أن يُشرح لهم الطريقة التى يمكن استخدامها، وأن يُقال لهم متى لا تنفع هذه البرامج. إذا فهم هؤلاء أن اكتساب الأشياء المادية ليس هو الهدف الأعظم فى الحياة، وأن القيم التى تُعلى من شأنها البرامج والإعلانات المتلفزة هى فى الواقع متناقضة مع ما يتعلمونه فى المدرسة، إذا فهموا ذلك فهذه خطوة مهمة. فبدلا من أن نعمل وكأن التليفزيون لا وجود له؛ فعلى المدرسة أن تقترح على الأطفال مناقشة البرامج والأفكار المقدمة لهم سواء أكانت جيدة أم سيئة. على المدرسة إقامة برامج تربوية تهدف إلى أن تجعل من الأطفال مشاهدين يمتلكون العقل النقدى، وهذا منذ نعومة أظفارهم. علينا أن نترك لهم استعمال أدوات الفيديو، وهذا من أجل صنع مشاهد صغيرة ومقتطفات إعلانية، وعليهم أن يدركوا بأنفسهم بأنه يمكننا تزييف الحقيقة بسهولة عن طريق الكاميرا.

النتائج

أغلب الأطفال الأمريكيين اليوم مضطربون، ويعود هذا فى جزء منه إلى أنهم يمضون أوقاتًا طويلة فى مشاهدة التليفزيون. ويعتبر هذا الوقت وقتًا مسروقًا؛ فالتليفزيون يسرق من الأطفال وقتًا ثمينًا، هم فى

حاجة إليه لتعلم معرفة العالم الذين يعيشون فيه ويحتلون فيه مواقعهم. وفى هذا خطر، إلا أن هناك ما هو أشد خطرًا، وهو أن التليفزيون يكذب. فيرى الأطفال فيه مصدرًا صادقًا لاستقاء المعلومات عن العالم. وهو ما ليس بحقيقى، لكن كيف سيعرفون ذلك؟ فمع القليل من الحقيقة التى ينقلها، يدفع بعدد كبير من الأشياء المغلوطة والمشوهة، سواء تعلق الأمر بالقيم أو بالوقائع الفعلية.

إن محتوى البرامج التليفزيونية يتضمن عنفًا شديدًا مقارنة بالحياة اليومية التى تدعى هذه البرامج أنها تعكسها. فتحتوى الرسوم المتحركة التى يشاهدها ملايين من الأطفال على مشاهد تعتبر الأكثر عنفا فى التليفزيون. ينفعل الأطفال بما يشاهدونه عندما يتصرفون – هم أنفسهم – بطريقة أكثر وحشية، وينتهون إلى الوصول لافتقاد الحساسية أمام ما يتعلق بالعنف، متبنين فى ذلك المعتقدات والقيم التى يقدمها لهم التليفزيون، ويعتقدون فيما يعلم لهم، على سبيل المثال من أننا نعيش فى عالم "حقير وخطر"؛ حيث يعتبر العنف فيه هو العملة الرائجة والشىء الجدير بالإعجاب.

فيؤثر التليفزيون على معتقدات، وقيم، وسلوك المشاهدين، إلا أنه لا يؤثر عليهم جميعًا بنفس الطريقة؛ إذ إن تأثيره يتنوع تبعًا للزمن الذى

يقضيه كل منهم أمام الشاشة، إضافة إلى محتوى البرامج. أيضًا يعتبر المستوى التعليمي للمشاهد، ومحيطه الاجتماعي - السياق العائلي خصوصًا - هما العاملان المحددان بعمق درجة التأثير الذي يمارسه التليفزيون. وباعتبار أنه نادراً ما تهتم العائلات بالتدخل في هذا الأمر، وتظل المدرسة هي الأخرى أيضًا غير مكترثة بالتليفزيون، فإن الأطفال لا يمكنهم سوى الاعتماد على أنفسهم في إضفاء معنى على ما تقدمه لهم وسيلة الاتصال تلك (التليفزيون). وإذا ما كان التليفزيون يمارس مثل هذا التأثير على الشباب، فذلك بالتحديد لأن المؤسسات الأخرى التي تهتم بالأطفال تقوم بعملها اليوم على نحو سيئ للغاية. ويمكن أن يكون للتليفزيون تأثير مختلف في أزمنة وأماكن أخرى. ربما ألا يستطيع أن يقدم مزيداً من الرومانسية حتى التي يمكن أن نتذكرها في القرون الماضية، القصص والحكايات التي كانت تحتل جزءًا كبيراً في حياة الأطفال، والتي لم يمر عليها بعد وقتًا طويلاً، عندما كنا نقوم بقراءتها على الصبية وكنا نشجع الكبار منهم على القيام بهذا النشاط؟ اليوم ولدى كثير من الأسر حل التليفزيون محل الحكايات وذلك عن طريق القصص الحديثة، المتجانسة، ولكن الأقل تماسكًا. فالزمن الذي يمضونه في مشاهدته يحرفهم عن القراءة، ولا تتطور قدراتهم على القراءة إلا بقدر يسير، والواضح أننا لا نهتم إلا قليلاً بهذا النشاط؛ إذ يُترك

الأطفال فى أيدى خادمة غير أمينة لا تقدم لهم إلا "حكايات مفككة لشخصيات تثور بشكل غير منطقى".

بغض الطرف عن الاعتبارات السابقة، فمشكلات المدرسة يتم إعادتها فيما يتصل بالتليفزيون. فلم تعد المدرسة مهتمة بامتياز، والتليفزيون لا يعلم بشكل كبير هذا الفن. نقلل من استثارة الفضول لدى الناس ولا نطلب منهم الانخراط – هنا على الأقل، النقطة التى يبدو فيها اتفاق المدرسة مع منتجى التليفزيون. لم نعد نتحدث عن "تعليم"؛ لأن الأمر يتعلق "بممارسة". من الذى سيتحمل ترسيخ القيم؟ المدرسة، الأسرة، التليفزيون، بكل تأكيد. لكن هل القيم التى سيقوم بترسيخها هى ما نود أن يتبناها أطفالنا؟

إن الذين يشاهدون التليفزيون كثيراً من بيننا يتأثرون بما ينقله، والصور المشوهة التى يصبها ليست مطبوعة فقط بالعنف. إذا ما استخدم الأطفال العنف بشكل مفرط، وإذا ما تأثر نموهم سلباً من جراء ذلك، على من سنلقى بالخطأ؟ من هو المسئول؟

ستقع المسئولية بشكل كبير على التليفزيون نفسه. فى أمريكا فهو مؤسسة شرهة، تخدم مصالح الشركات التى تموله، أكثر من ذلك فهو لا يخدم المصلحة العامة. واستخدم التليفزيون بسرعة كبيرة العنف

ليشد الانتباه، وما زال يقوم بذلك، على الرغم من استنكار الرأى العام؛ إذ يبدو توظيفه التجارى فى كل ما يقدمه. فالتليفزيون مسئول عن محتوى البرامج، إلا أن الاستخدام الذى يقوم به المشاهدون للتليفزيون لا يخضع له.

هل نلوم الأطفال؟ هل هو خطأهم إذا ما كانت المعلومات التى يبثها لهم التليفزيون محرفة؟ وأليست المدرسة التى يكمن دورها فى نقل ثقافتنا، أليست فى جزء كبير من هذا مسئولة عن هذه الوضعية، ألم تفشل حتى الآن فى أن تقودنا نحو الاستخدام الذى ينبغى علينا توخيه تجاه التليفزيون.

والتليفزيون ليس مدعواً للاختفاء، وقليل الاحتمال أن يشكل يوما وسطا مشجعا على التنشئة الاجتماعية للأطفال. تلك حقيقة علينا القبول بها. نستطيع أن نحاول تحسين الأوضاع، أن نضمن أن البرامج التى نقدمها لأطفالنا هى من ذات النوعية الحسنة، إلا أن الأشد أهمية هو أن نبين للأطفال أن التليفزيون ليس مصدراً للمعلومات حول العالم. وإذا كنا نريد أن يكرسوا زمنًا أقل للتليفزيون، فيجب علينا أن نقترح عليهم أنشطة أخرى. فالأطفال فى حاجة إلى معرفة أنفسهم بأنفسهم، أكثر من معرفة العالم الخارجى؛ وهم لا يستطيعون القيام بهذا إلا عندما يقومون

بتجاربهم الشخصية وبالاتصال بموجودات إنسانية أخرى. ما يجب على الأطفال إذن، كثيرًا من التجربة وقليلاً من التليفزيون. فالتليفزيون غير قادر على تعليم الأطفال ما هو ضرورى لهم ليصبحوا راشدين. التليفزيون أداة دعائية، ومن المشروع باعتباره هكذا أن يكون له موقعًا. ربما يكون أداة منوعات، والمنوعات فى حد ذاتها ليست سيئة. فهو يمكن أن يحظى بدور فى المعلومات، وهذا شىء طيب. مع ذلك فلن ينجح فى أن يكون أداة صالحة فى التنشئة الاجتماعية. هذا هو ما ينبغى علينا الاعتراف به وحول هذه المشكلة ينبغى علينا أن نتدخل. ينبغى أن تلعب المدرسة والأسرة دورًا أساسيًا فى هذا المجال، وعليهما أن يتحركا بشكل أكبر مما يفعلانه حتى الآن، وينبغى مساعدتهما فى هذا بكل الطرق الممكنة. يمكننا أن نبدأ بالتخفيف من الأثر الذى يمارسه التليفزيون فى حياة الأطفال. وتلك بداية طيبة. ولعل الوقت قد حان لنقوم بهذه الخطوة.

نحو المجتمع المفتوح

بقلم : چان بودوان

إلى هؤلاء الذين يعتقدون أن فكر كارل بوبر قد تم استنفاده فى جوهره، فى الإبستمولوجيا، وأنه لا يسمح لحياة وتنظيم المدينة إلا باهتمام ثانوى؛ فالصفحات المركزة والسريعة التى يكرسها حول التليفزيون تحمل مرة أخرى، تكذيبًا شديد البلاغة. فبوبر لم يساوره أبدًا التخلى عما هو مدنى وأخلاقى! بل على العكس، فإنطلاقا من الحدس والتحليلات شديدة الثراء التى طوَّرها، منذ ١٩٤٢، فى كتابه "المجتمع المفتوح وأعداؤه"، لم يتوقف عن التفكير فى المغامرة الديمقراطية فى كل تعارضاتها. فليست صدفة بلا شك إذا ما كان أحد أواخر النصوص التى قُدمت له قد تم تكريسها حول التليفزيون. كل هؤلاء الذين كانوا يقدرون مستوى وجسارة تأملاته حول المجتمع المفتوح كانوا يأسفون داخليا أنهما لم تأخذ أبدًا بعين الاعتبار، أو على نحو أقل، الخطر الذى يمثله فى عصرنا الحاضر ذلك "الجهاز العجيب"، وعلى وجه أكثر عمومية ذلك الذى يسميه أبراهام مولس Abraham Moles "الوفرة الاتصالية" L'opulence communication nelle. يظهر هذا النص ليملأ فراغًا ويتوجه مباشرة إلى سكان المجتمع المفتوح.

بالفعل وعلى أقل تقدير فقد كتب كارل بوبر هذا العدد من الصفحات متوجهًا سواءً إلى عالم اجتماع منتبه لتلك الظاهرة الإعلامية أو إلى مواطن حذر يعرف مساوئها، أو إلى مفكر يفهم صعوبة الديمقراطية. تكمن كل محاولته فى عمل تشخيص دقيق وتقديم مجموعة من المقترحات. يستند التشخيص على الأعمال التى أنجزها عالم النفس الأمريكى چون كوندرى، وانطلاقًا من العديد من الأبحاث الإمبريقية التى تمت فى بريطانيا والولايات المتحدة، بهدف فحص، وتحديد هوية، وإن أمكن، قياس التأثيرات المترسبة التى تحدثها برامج التليفزيون الموجهة للأطفال وللمراهقين. يذكرنا العلاج المقترح أن بوبر لم يتحمل أبدًا مواقف الردة والتخلى عن الواجب، وأنه اعتقد دائمًا أنه حتى داخل أعماق مجتمع ما مفتوح كانت ثمة إمكانية، ذات طبيعة لا نهائية، ليس فقط لإدراك المشكلات وتحديد المخاطر، ولكن أيضًا لإدارتها بشكل إنسانى وناجح بقدر الإمكان. من وجهة النظر تلك، فإن المعاينة الكئيبة التى أقامها والمقترحات التى عرضها تمثل على وجه الخصوص خلاصة مقنعة لتأملاته التى وضعها منذ ما يقرب من نصف قرن حول المنافع ولكن ايضا الغموض الخاص بالمجتمع المفتوح.

عملية لنزع الحضارة

انتمى بوبر دائمًا إلى جنس الليبراليين المتشددين. كان الشاهد المجذوع على انهيار الجمهوريات الشابة فى أوروبا الوسطى، وهنا

اكتسب قناعة أن ديمقراطية ما مفهومة جيدا ما كان لها أن تتسامح مع التعصب، عندما يكون هذا التعصب غير قابل للتحديد بوضوح. بالنظرة الأولى، فإن التليفزيون العام أو الخاص، ليس المناظر الحديث لفاشية ما بين الحربين. على العكس فهو يجب أن يعطى لنفسه وجهًا جذابًا، ومبتسمًا ومسترخيًا. ومع ذلك فالنموذج الأمريكى يعوق هذا المنظر الساخر. إن خضوع العالم الإعلامى للمقتضيات المقدسة للتنافس للأحكام اليومية لمعدل المشاهدة يثير معادلة تتجه نحو الأسفل؛ حيث تحس التأثيرات الأكثر ضررا من خلال البرامج الموجهة إلى الأطفال والمراهقين.

إن النقد الذى تم صياغته برز أنه يحيل إلى نظرية عامة فى التطور الاجتماعى والأخلاقى استشعرها بوبر مبكرًا جدًا، حتى وإن لم ينظمها بوبر فى كتاباته الخاصة إلا متأخرًا جدًا. فالطفل الذى يولد للحياة، مثل أى تنظيم إنسانى، يشعر "بحاجة للضبط". لا يمكننا الاعتقاد بأنه سيصبح يوما ما مواطنًا حذرًا إذا لم يكن يتمتع بمحيط مستقر يزوده بمعالم ويرشده للطريق. إن التليفزيون الحديث يهدم بشكل منهجى الإطارات التقليدية للخبرة الأولى. إنه، حسب تعبير چون كوندرى الجميل، هذا "السارق للوقت" الذى يستثمر النظرات والعقول، والذى لا يتردد، عن طريق برامجه أو مسلسلاته، عن نشر مذاق فظ للقتل وللعنف، وأن يبث اللاأخلاقية والتفاهة. والمواقف والتخوفات التى عبر عنها كارل

بوبر لم تكن تقترب أبدًا إلى هذه الدرجة من الأطروحات التى يعبر عنها منذ وقت طويل فى الولايات المتحدة من ينعتون بشكل متعسف "بالمحافظين الجدد". نحن بحق نشهد بربرية حديثة، حركة لنزع الحضارة طالت الطاقات الأكثر حميمية للمجتمع المفتوح. من جهة، وهذه مخاطرة كبرى أن يشير بوبر من قبل فى كتابة "خلاصة القرن" إلى عرض فاحش ملىء بالدم والكراهية يضعف "مقاومات العنف"، ويأكل شيئًا فشيئًا، فى عقول الأفراد، الدفاعات المناعية التى كانت قد نحتتها بأظافرها بعناية الثقافة الديمقراطية منذ ما يقرب من قرنين. من جهة أخرى عند اختلاس وقت الفراغ وعندما يصبح الهيئة الرئيسية للتنشئة الاجتماعية أو الوحيدة للأطفال صغار السن، فهو (التليفزيون) يدمر كل حس نقدى، وهو لن يعد يعلم القيم الإيجابية والأخلام الخصبة، وسيعوق من هنا حتى تكوين العقول ذات الفضول واليقظة.

إن المجتمع الديمقراطى عليه أيضًا واجب تعليم شبابه مُثل الحرية، والمسئولية، والتضامن. إنه يتخلى عن هذه المهمة الحاسمة إذا ما وافق على أن الوظائف المؤسِّسة للتنشئة الاجتماعية والتى كانت تضمنها بشكل تقليدى الأسرة والمدرسة أو الجيرة يمكن إهمالها من الآن وتركها لصدف معدل المشاهدة.

يلقى تحليل بوبر بضوء مكثف خاصة على ما يتصل بالمجتمع المفتوح. إن الأمر لا يتعلق على وجه الخصوص بشكل ما ممتلئ ومضمون بأنه سيوافق على تأسيس بشكل مضطرد، وسيكون بشكل طبيعي حذرًا أمام كل تقلب جدى. إذا ما كان لديه علما بذلك، فإن بوبر بالتأكيد لم يكن سيعتمد أطروحة النجاح التى طورها فوكوياما، والتى بموجبها لم يعد للديمقراطية اليوم من منافس معلن، ونتيجة لهذا ستمثل "نهاية التاريخ"، حتى عندما نربطها بالترجمة الديمقراطية؛ فالنزعة التاريخية تظل بشكل منطقى أو سياسى مزعزعة. فهى على العكس، داخل طبيعة المجتمع المفتوح فى حاجة إلى "أعداء"، ولن تكون أبدًا وبشكل حاسم محصنة ضد البربرية. مجتمع كهذا سيعترف بأنه يقبل فى الحال أفقا لغائيته الخاصة.

ولا يعنى، هذا لحسن الحظ، أن الديمقراطية ليست إلا ساقًا نباتية ضعيفة مدعوة إلى الرضوخ لأولى النسمات. فبوبر ليس شبنجلر. وليس من طابعه الانحراف إلى كل نغمات تراجع الغرب أو أن يترك نفسه إلى عدمية ما تميزه. وإذا راهن على المجتمع المفتوح، فإنه أيضًا لأن هذا المجتمع يضع تحت تصرف مواطنيه نسقًا كليًا من مصادر

فكرية، برهانية ومؤسساتية. بهذا الخصوص، فإن النص الذى كتبه السير كارل بوبر يعمِّق الحدس الذى كان يُطوِّره فى كتابه "خلاصة القرن"، ويذكر فى الوقت المناسب بالأهمية التى كان يمنحها، فى شيخوخته، لمفهوم دولة القانون. بالفعل ينبغى أن نتذكر أن فلسفة كارل بوبر السياسية أنتجت بانتظام استعمالين خاطئين. من جهة، استعمال بالأحرى "اشتراكى ديمقراطى" يستند إلى "نظريته فى حمائية الدولة" وعلى مفهومه الحصيف فى الإصلاح الاجتماعى. ومن جهة أخرى، استعمال واضح "ليبرالى" يستدعى، على العكس، ثناؤه على الحريات وعلى ما هو ضد السلطات ولكن أيضًا مخاوفه أمام التوسع غير المحدود لوظائف الدولة. كان بوبر فى كتابه "خلاصة القرن" يُعرِّف دولة القانون: "تتضمن (هذه – الدولة) قبل كل شىء إقصاء العنف، سأقول حتى إن هذا سيمكنه أن يكون تعريفًا جيدًا (...) إلا أنه عندما نوافق على تقليص الاشمئزاز العام الذى يوحى بالعنف، إلى العدم، فنحن نعرقل دولة القانون والاتفاق العام الذى بمقتضاه ينبغى أن يتم تفاديه. وبنفس القدر فنحن نعرقل حضارتنا(١)". كان يذكر فى هذه المناسبة، أن العنف الذى تمارسه على الأجساد أو على العقول، كان العدوى الأكثر خطرًا مما يستطيع مجتمع ما معرفته، وأنه كان من واجب الدولة الحفاظ على

(١) Éd. Anatolia, p.71.

المشاعر الأولية للعدالة واللاعنف وهما وحدهما، الحافز الأخير الذى يستطيع أن يحفظ لها طابعًا إنسانيًا.

إن الوعى بالمخاطر التى يقدمها التليفزيون لا يمكن إلا أن يدفع على الحفر أكثر لتعميق هذا الحدس الوسيط بشكل أكبر. إذا ما كان مجتمع ديمقراطى ما فى حاجة للحرية لتحييد القوة المفترسة للدولة، فإنه فى حاجة أيضا لسلاح نظامى لكى يحد من الاستخدام السيئ للحرية. اعتقد بوبر دائمًا أن اقتصاد السوق كان الرفيق العنيد بشكل أو بآخر للديمقراطية السياسية، إلا أنه لا يوافق على أن يمد بعدم تبصر منطقه إلى كل سجلات الحياة الاجتماعية. خاصة عندما يكون ذلك باسم النجاعة والمردودية، ستخضع قنوات التليفزيون إلى الحكم الأعمى للتنافس، وهكذا ستجعل من البرامج المقدمة هى الأكثر ضررًا والأكثر بعدا عن التعليم. بين الفرضية المهملة لاحتكار الدولة للراديو و التليفزيون والسيناريو الحالى للخصخصة والتنافس الوحشى، ربما ثمة مكان لحل وسيط: خلق نظام نقابى يمنح تراخيص للتلفزة ويمكن فى كل وقت سحب التصريح الممنوح. ليس كل شىء الدولة، وليس كل شىء السوق.

أخلاق للمسئولية

ربما حان الوقت لتتذكر التعريف الذى يبدو شديد الخشونة، والذى وصف به بوبر المجتمع المفتوح فى كتابه عام ١٩٤٢: "أطلق مجتمع مغلق

على المجتمع السحرى أو القبلى، ومجتمع مفتوح على هذا المجتمع الذى يواجه فيه الأفراد قرارات شخصية". وبالاقتراب من تلك الملاحظة التى أوردها بمناسبة ندوة فيينا سنة ١٩٨٨: "لا يمكن أن ننتظر مجتمعاً ديمقراطيا بأن يكون أكثر ديمقراطية من سكانه". من البداية إلى النهاية تمحور فكر بوبر حول أخلاق للمسئولية. فأفضل المؤسسات، والإجراءات الأكثر براعة لا يمكن أن تقوم هنا بشىء إذا ما تخلى فى الواقع سكانها ومستعمليها عن واجبهم فى المواطنة. فالمجتمع المفتوح لا يبحث عن اختلاس مسئولية أعضائه الشخصية، إنه على العكس يعمل على وضعها (المسئولية) بالقدر الذى تمارس فيه بهدوء ونشاط. هنا أيضًا سنجد أن المقترحات التى رصع بها نصه "قانون من أجل التليفزيون" هى على وجه الخصوص موحية.

تتوجه أخلاق المسئولية تلك، فى المقام الأول، إلى الأجيال التى نتجت عن الثورة الديمقراطية المعاصرة. اعتقد كارل بوبر دائمًا أنه ينتمى إلى خط فكرى واجتماعى عرف أن يستفيد من الخراب الذى خلفته البربريات الشمولية، وأنه بهذا الحق يحمل مسئولية خاصة فيما يتعلق بالجيل القادم. ليست إذا صدفة إذا ما كان نقده الشديد لعالم الميديا ينصب بشكل جوهرى على البرامج الموجهة إلى الأطفال. إنه

بالفعل على الراشدين الذين يقودون المجتمع، ويعلنون القوانين عليهم تحديداً "تحمل مسئولياتهم" وألا يلجأوا لطريقة التخفى خلف "مقتضيات السوق"، و"أحكام معيار المشاهدة" أو "أذواق الجمهور" للتحايل عليها.

إلا أن أخلاق المسئولية تلك، تتوجه على وجه الخصوص إلى مجمل الأشخاص الذين يشاركون بشكل مباشر أو غير مباشر فى إنتاج البرامج التليفزيونية. بالفعل إنه لجدير بالملاحظة أن النظام الذى يتمناه بوبر على نسق نظام الأطباء أو رجال القانون لديه الأهلية فى إصدار تراخيص للعمل فى التليفزيون، وهكذا يحدد لكل مرتبة من الأشخاص إلتزامات وتكليفات محددة وشخصية. يتعلق الأمر هنا أيضًا، بتكوين سلسلة من الارتباطات المتبادلة والمشتركة والتى تشكل طابعا لوظيفة المجتمع المفتوح مفهومًا جدًا لدى الجميع. أى منح مرة أخرى لكل حلقة من السلسلة الإعلامية معنى الشرف والمسئولية، والتمسك بين مجمل الأشخاص بحالة دائمة من الفوران العقلى والوعى النقدى. وإقامة نوع من بنية مشتملة يتم بداخلها فى كل لحظة تحييد تراجعات وضعف البعض عن طريق تدقيقات وشجاعة البعض الآخر، وذلك لتفادى أن يكون مجتمع ما يبدو ديمقراطيًا فى الظاهر ولا يحتضن فى داخله مبدأ جديداً لعملية تدجين. ليس هناك نظام بطبعه بمنأى عن التطرف

الشمولى، ربما سيكون من المناسب أن نربط بتأمله وفعله جموع من المواطنين، والمشاهدين، الراشدين والأطفال ممن لديهم الهمة فى استنهاض مختلف الفاعلين فى السلسلة الإعلامية.

* * *

نحن لا نجادل المنحدرات شديدة الظلال، وبلا شك، الأكثر قابلية للنقاش عن البرهنة. فتلك أنتجت منهجًا يستخدمه السير كارل باستمرار عندما يريد إقناع الرأى العام بوجود خطر ما شديد الخطورة.

يتضمن هذا المنهج حل التناقض الوجدانى الذى يطبع ظاهرة اجتماعية ما مقلقة بالفعل، وذلك لإبراز عناصره الأكثر ضررًا بشكل أفضل وتهويل الموقف بشكل إيجابى. سيمكننا بالفعل الرد على بوبر بأن التليفزيون يقوم أيضًا بتهدئة الاعتراضات الاجتماعية وبنزع الشرعية عن التعصبات الإيديولوجية، وإنه ليس من المؤكد أن يستطيع أن يستغله غدا "هتلر جديد". هكذا استفاد بشدة السيناتور الشهير مكارثى من الإرسال المتلفز لنقاشات مجلس الأنشطة الموجهة ضد أمريكا، قبل أن يصبح بدوره ضحية التجربة الإعلامية القاسية؛ فإفراطاته الشفاهية وبلاغته التى ترجف انتهت بإستثارة حساسية حتى هؤلاء الذين كانوا قد صوتوا له.

لكن فلنحترم مسعى كارل بوبر، ولنفكر في الأخطار التي يصفها.
ولا ننسى أنه يقع علينا نحن وباستمرار إعادة خلق المجتمع المفتوح.

المؤلفون فى سطور :

– **كارل بوبر** (فيينا ١٩٠٢ – لندن ١٩٩٤) مؤلف أعمال كبيرة تتميز بأهمية تأمله الفلسفى والعلمى. علمه الغزير ونصاعته الفكرية غير العادية جعلت منه أحد المفكرين الأكثر نشاطا وتحريضا فى عصرنا.

– **جون كوندرى**، عالم نفس أمريكى قام بالتدريس فى جامعة كورنل. شارك فى إدارة مركز الأبحاث الخاص بدراسة تأثيرات التليفزيون. من آخر كتاباته: (١٩٨٩) The psychology of Television وكتاب مشترك تحت عنوان: childern's TV before and after: the childern's Television Act of 1990 (1993)

– **جيانكارلو بوزيتى**، رئيس التحرير المشارك للصحيفة اليومية الإيطالية L'unita، وهو أيضا المؤسس المشارك لمجلة .Reset نشر مقابلة مع كارل بوبر تحت اسم:

فى ١٩٩٣ La leçon de ce siècle

وهى التى تُرجمت فى المشروع القومى للترجمة فى المجلس الأعلى للثقافة تحت عنوان: "خلاصة القرن".

– **جان بودوان**: أستاذ العلوم السياسية بجامعة رين Rennes بفرنسا. نشر كتابا حول كارل بوبر فى سلسلة "ماذا أعرف؟" الشهيرة، كما نشر كتابًا آخر حول فلسفة كارل بوبر السياسية. وجعل منه هذان الكتابان واحدًا من أفضل من فسروا فكر بوبر.

المترجم فى سطور :

مجدى عبد الحافظ

- أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة بجامعة حلوان .
- حاصل على الدكتوراه فى العلوم الإنسانية (فلسفة معاصرة) من جامعة باريس ١٠ ، نانتير بفرنسا بسنة ١٩٩١ .
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا للجامعة DESU من جامعة باريس ٨ ، سان دينى ١٩٨٧ .
- حاصل على دبلوم الدراسات المتعمقة DEA فى الفلسفة المعاصرة من جامعة باريس ٤ - السوربون ١٩٨١ .
- حصل على دبلوم الجامعة المرحلة الثالثة فى الفلسفة المعاصرة من جامعة باريس ٤ - السوربون ١٩٨١ .
- عمل مدرسًا بجامعة باريس ٤ - السوربون قبل أن يعمل بجامعة حلوان ، وهو أستاذ زائر بجامعة إميان بفرنسا .
- له العديد من المقالات والبحوث والدراسات والكتب فى مجال الفلسفة الحديثة والمعاصرة والفكر العربى والتاريخ .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	چون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	چورچ چيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كاريتنيكوڤا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إڤيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	ڤيسواڤا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديڤيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	چان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورچ سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	چون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	چون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	چيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	چان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديڤيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوپكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روچر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

-٣٧	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
-٣٨	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
-٣٩	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
-٤٠	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
-٤١	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
-٤٢	عالم ماك	بنچامين باربر	أحمد محمود
-٤٣	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
-٤٤	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
-٤٥	التراث المغدور	روبرت دينا وچون فاين	أحمد محمود
-٤٦	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
-٤٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
-٤٨	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
-٤٩	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
-٥٠	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
-٥١	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
-٥٢	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوڤاليس وس. روچسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
-٥٣	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
-٥٤	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
-٥٥	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
-٥٦	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
-٥٧	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
-٥٨	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
-٥٩	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
-٦٠	التصميم والشكل	چوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
-٦١	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
-٦٢	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
-٦٣	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
-٦٤	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
-٦٥	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
-٦٦	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
-٦٧	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
-٦٨	نتاشا العجوز وقصص أخرى	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
-٦٩	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
-٧٠	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
-٧١	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
-٧٢	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
-٧٣	نقد استجابة القارئ	چين ب . توميكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
-٧٤	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٣)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسپنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر پوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونياك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديڤيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	چوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	چى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	پول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	پول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	پيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	چيرمى سيبروك	فخزى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	چيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى پاركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديڤيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	أرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا آديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديڤ روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديڤ روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥- روايات مترجمة | أوسكار وايلد وصمويل جونسون | لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة (رواية) | جلال آل أحمد | عادل عبدالمنعم على
٢٦٧- فن الرواية | ميلان كونديرا | بدر الدين عرودكى
٢٦٨- ديوان شمس تبريزى (جـ٢) | مولانا جلال الدين الرومى | إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١) | وليم چيفور بالجريف | صبرى محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢) | وليم چيفور بالجريف | صبرى محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ | توماس سى. باترسون | شوقى جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر | سى. سى. والترز | إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر | چوان كول | عنان الشهاوى
٢٧٤- السيدة باربارا (رواية) | رومولو جاييجوس | محمود على مكى
٢٧٥- ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً | مجموعة من النقاد | ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما | مجموعة من المؤلفين | عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧- الجينات والصراع من أجل الحياة | براين فورد | أحمد فوزى
٢٧٨- البدايات | إسحاق عظيموف | ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية | ف.س. سوندرز | طلعت الشايب
٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى | بريم شند وآخرون | سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١- الفردوس الأعلى (رواية) | عبد الحليم شرر | جلال الحفناوى
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية | لويس وولبرت | سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى | خوان رولفو | على عبد الروف البمبى
٢٨٤- هرقل مجنوناً (مسرحية) | يوريبيديس | أحمد عتمان
٢٨٥- رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى | حسن نظامى الدهلوى | سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣) | زين العابدين المراغى | محمود علاوى
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى | أنتونى كنج | محمد يحيى وآخرون
٢٨٨- الفن الروائى | ديڤيد لودج | ماهر البطوطى
٢٨٩- ديوان منوچهرى الدامغانى | أبو نجم أحمد بن قوص | محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة | چورج مونان | أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١) | فرانشسكو رويس رامون | السيد عبد الظاهر
٢٩٢- تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢) | فرانشسكو رويس رامون | السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربى | روچر آلن | مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤- فن الشعر | بوالو | رجاء ياقوت
٢٩٥- سلطان الأسطورة | چوزيف كامبل وبيل مويرز | بدر الديب
٢٩٦- مكبث (مسرحية) | وليم شكسبير | محمد مصطفى بدوى
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية | ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى | ماجدة محمد أنور
٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى | نخبة | مصطفى حجازى السيد
٢٩٩- ثورة فى التكنولوجيا الحيوية | چين ماركس | هاشم أحمد محمد
٣٠٠- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١) | لويس عوض | جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢) | لويس عوض | جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢- أقدم لك: فنجنشتين | چون هيتون وجودى جروڤز | إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣-	أقدم لك: بوذا	چين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديڤيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف چونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠-	أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	چانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	س. شير لايموڤا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايترى سپيڤاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليڤى برو ڤنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوچين كليناور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شىء عن التمثيل الصامت	مارڤن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمى
٣٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣-	العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	يونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧-	الصبية الطائشون (رواية)	چان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١-	مبادئ المنطق	چوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥-	التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠-	أنثروبولوچيا اللغة	أندريه چاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد چيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البراق عبدالهادى رضا
٣٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	چيرالد پرنس	عابد خزندار
٣٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	چان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩-	ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد اسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣-	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤-	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥-	مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧-	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩-	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	پول ديڤيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧-	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	أقدم لك: سارتر	فيليپ تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	أقدم لك: كامى	ديڤيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديڤيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	چوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	چينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليڤى بروڤنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣-	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوڤا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	چين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبى للإسكندرية	چون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	ڤولتير	الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨- الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩- أقدم لك: هيجل	ليود سپنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- أقدم لك: ماكياڤللى	پاتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- أقدم لك: جويس	ديڤيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨- بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥- حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧- ملحمة السِّيد	تراث شعبى إسبانى	الطاهر أحمد مكى
٤٤٨- الفلاحون (ميراث الترجمة)	الأب عيروط	محى الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وربيبكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة	چان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مجـ٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	ڤيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	ڤرچينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير چاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	چى ڤارچيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣–	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤–	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥–	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦–	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧–	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨–	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩–	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠–	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١–	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢–	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣–	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤–	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥–	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦–	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧–	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨–	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩–	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠–	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١–	كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢–	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣–	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤–	مدخل إلى النظرية الأدبية	چونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥–	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦–	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧–	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨–	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩–	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠–	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١–	قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢–	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣–	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤–	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥–	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس چونسون	نادية رفعت
٥٢٦–	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧–	أقدم لك: كافكا	ديڤيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨–	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفلِ إيڤانز	جمال الجزيرى
٥٢٩–	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ
٥٣٠–	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه چينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨- النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	پاتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦- أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩– موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠– دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	يوسف الشاروني
٥٧١– تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢– الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣– أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤– مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥– الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦– فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧– مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨– الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩– أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠– دائرة المعارف الدولية (مج١)	چون فيزر وپول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١– الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢– مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣– الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤– سفر (رواية)	محمود دولت أبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥– الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦– السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧– تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨– أمنحوتپ الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩– تمبكت العجيبة	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠– أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١– الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢– الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣– قصائد ساحرة	پول ڤاليرى	بكر الحلو
٥٩٤– القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥– الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦– الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧– مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨– مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩– فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠– الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١– النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢– ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣– النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤– الكوارث الطبيعية (مج١)	پاتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٦٠٥– مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦– قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى
٦٠٧– قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨– قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن

٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوچية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	عمر الخيام	محمد السباعى
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	شعر المرأة الأفريقية	نخبة	غادة الحلوانى
٦٢٥-	الجرح السرى	چان چينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	چوناثان ميلر وبورين ڤان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ
٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوچين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر ذبيح	عبد الوهاب علوب

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٦٤٧-	رسائل من مصر	چون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	چى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روچر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	آمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	پول داڤيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألڤن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بِكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	چيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانڤيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانڤيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٣)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غربال
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن
٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى

٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حائيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	چيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديڤ روبنسون وچودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديڤ روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وچودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيڤان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود ڤيڤيان	منى البرنس
٧٠٢-	مدونة چوستنيان فى الفقه الرومانى (ميراث الترجمة)	چوستينيان	عبد العزيز فهمى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانڤيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	چونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: ڤالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوچيا والثقافة	إيان هاتشباى وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	الإلياذة (جـ١) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	الإلياذة (جـ٢) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	حديث القلوب (ميراث الترجمة)	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	إدمون ديمولان	أحمد فتحى زغلول
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة	م. جولدبرج	جميلة كامل
٧٢٠-	مداخل إلى البحث فى تعلم اللغة الثانية	دونام چونسون	على شعبان وأحمد الخطيب
٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى

٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	پول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	چون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثاليبس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	پاتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	چيرار دى چورچ	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	چيرار دى چورچ	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات السلطة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣-	الثقافة: منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	چوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧-	الاستعارة فى لغة السينما	تريڤور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالڤيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	پاتريشيا كرون	آمال الرويى
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود

٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)	فيرچينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	خواجه مير درد الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	چون فيزر وپول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	چيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٢٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارڤن كارلسون	جمال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	ڤيك چورچ وپول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديڤيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاچين	منى الدروبى
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١-	العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢-	دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣-	ثلاث رؤى للمستقبل	چون جريڤيس	رءوف وصفى
٧٩٤-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥-	مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦-	آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى
٧٩٧-	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨-	الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٩٩- سلم السنوات	آن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠- قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١- نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف محسن يوسف
٨٠٢- مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣- التغيير والتنمية فى القرن العشرين	توماس پاترسون	عزة الخميسى
٨٠٤- سوسيولوجيا الدين	دانييل ميرفيه-ليجيه وچان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦- الطبقة العليا المصرية	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧- يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديڤيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وچوزيف كروپسى	محمود سيد أحمد
٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وچوزيف كروپسى	محمود سيد أحمد
٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢- تأمل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣- لم أخرج من ليلى (رواية)	أنى إرنو	نورا أمين
٨١٤- الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦- العدو الأمريكى	ڤيليپ روچيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧- مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠- هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١- هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢- فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤- لغة الدراما	داڤيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥- عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦- عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧- أهل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات	دونالد پ.كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨- النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠- رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١- تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين وليوپولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	چوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣- الفلسفة الألمانية	ڤرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤- كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥- تشيخوف: حياة فى صور	پيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦- بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى

٨٣٧- عناكب فى المصيدة ناتاليا ڤيكو على فهمى عبدالسلام
٨٣٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى نعوم تشومسكى لبنى صبرى
٨٣٩- أقدم لك: النظرية النقدية ستيوارت سين وبورين ڤان لون جمال الجزيرى
٨٤٠- الخواتم الثلاثة جوتهولد ليسينج فوزية حسن
٨٤١- هملت: أمير الدانمارك وليم شكسبير محمد مصطفى بدوى
٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢) فريد الدين العطار محمد محمد يونس
٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى نخبة محمد علاء الدين منصور
٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولمة كريمة كريم سمير كريم
٨٤٥- غياب السلام نيكولاس جويات طلعت الشايب
٨٤٦- الطبيعة البشرية ألفريد آدلر عادل نجيب بشرى
٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية مايكل ألبرت أحمد محمود
٨٤٨- تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة) يوليوس فلهاوزن عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩- سونيتات شكسبير وليم شكسبير بدر توفيق
٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداثة مقالات مختارة جابر عصفور
٨٥١- الطب التجريبى (ميراث الترجمة) كلود برنار يوسف مراد
٨٥٢- العلم والحقيقة ريتشارد دوكنز مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١) باسيليو بابون مالدونادو على إبراهيم منوفى
٨٥٤- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢) باسيليو بابون مالدونادو على إبراهيم منوفى
٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب چيرارد ستيم محمد أحمد حمد
٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى فرانثيسكو ماركيث يانو بيانوبا عائشة سويلم
٨٥٧- نادچا (رواية) أندريه بريتون كامل عويد العامرى
٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية ثيو هرمانز بيومى قنديل
٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم إيڤ شيمل مصطفى ماهر
٨٦٠- مصر وأوروبا ڤان بملن عادل صبحى تكلا
٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا چين سميث محمد الخولى
٨٦٢- ببغاء الكاكادو أرتور شنيتسلر محسن الدمرداش
٨٦٣- لقاء بالشعراء على أكبر دلفى محمد علاء الدين منصور
٨٦٤- أوراق فلسطينية دورين إنجرامز عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥- فكرة الثقافة تيرى إيجلتون شوقى جلال
٨٦٦- رسائل خمس فى الآفاق والأنفس مجموعة من المؤلفين محمد علاء الدين منصور
٨٦٧- المهمة الاستوائية (رواية) ديڤيد مايلو صبرى محمد حسن
٨٦٨- الشعر الفارسى المعاصر ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى محمد علاء الدين منصور
٨٦٩- تطور الثقافة روبن دونبار وآخرون شوقى جلال
٨٧٠- عشر مسرحيات (جـ١) نخبة حمادة إبراهيم
٨٧١- عشر مسرحيات (جـ٢) نخبة حمادة إبراهيم
٨٧٢- كتاب الطاو لاوتسو محسن فرجانى
٨٧٣- معلمون لمدارس المستقبل تقرير صادر عن اليونسكو بهاء شاهين
٨٧٤- النهر الخالد (مج١) جاويد إقبال ظهور أحمد

٨٧٥- النهر الخالد (مج٢)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٦- دراسات فى الموسيقى الشرقية (جـ١)	هنرى جورج فارمر	أمانى المنياوى
٨٧٧- أدب الجدل والدفاع فى العربية	موريتس شتينشنيدر	صلاح محجوب
٨٧٨- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٧٩- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٨٠- الواحات المفقودة	أحمد حسنين بك	عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
٨٨١- المستنيرون : خدمة وخيانة	جلال آل أحمد	سلوى عباس
٨٨٢- أغانى شيراز (جـ١) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٣- أغانى شيراز (جـ٢) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٤- تعلم الأطفال الصغار	باربرا تيزار ومارتن هيوز	محمد رشدى سالم
٨٨٥- روح الإرهاب	چان بودريار	بدر عرودكى
٨٨٦- الترجمة والإمبراطورية	دوجلاس روبنسون	ثائر ديب
٨٨٧- غزليات سعدى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٨٨٨- أزهار مسلك الليل (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت
٨٨٩- سارتورس (ميراث الترجمة)	وليم فوكنر	ميخائيل رومان
٨٩٠- منتخبات أشعار فراغى	مخدومقلى فراغى	الصفصافى أحمد القطورى
٨٩١- مفاوضات مع الموتى	مارجريت أتوود	عزة مازن
٨٩٢- تاريخ المسيحية الشرقية	عزيز سوريال عطية	إسحاق عبيد
٨٩٣- عبادة الإنسان الحر	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٨٩٤- الطريق إلى مكة	محمد أسد	رفعت السيد على
٨٩٥- وادى الفوضى (رواية)	فريدريش دورينمات	يسرى خميس
٨٩٦- شعر الضفاف الأخرى	نخبة	زين العابدين فؤاد
٨٩٧- اختراق الجزيرة العربية	ديڤيد چورچ هوجارث	صبرى محمد حسن
٨٩٨- الإسلام والعلم	برويز أمير على	محمود خيال
٨٩٩- الدبلوماسية الفاعلة	بيتر مارشال	أحمد مختار الجمال
٩٠٠- تيارات نقدية محدثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٩٠١- مختارات من شعر لى جاو شينج	لى جاو شينج	عبد العزيز حمدى
٩٠٢- آلهة مصر القديمة وأساطيرها	روبرت أرنولد	مروة الفقى
٩٠٣- أفلام ومناهج (مج١)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٤- أفلام ومناهج (مج٢)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٥- تراث الهند	ج. ت. جارات	جلال السعيد الحفناوى
٩٠٦- أسس الحوار فى القرآن	هيربرت بوسه	أحمد هويدى
٩٠٧- أرثر.. متعة الحياة (رواية)	فرانسواز چيرو	فاطمة خليل
٩٠٨- الحلقة النقدية	ديڤيد كوزنز هوى	خالدة حامد
٩٠٩- الفنون والآداب تحت ضغط العولمة	چووست سمايرز	طلعت الشايب
٩١٠- بروميثيوس بلا قيود	داڤيد س. ليندس	مى رفعت سلطان
٩١١- غبار النجوم	جون جريبين	عزت عامر
٩١٢- ترجمات يحيى حقى (جـ١) (ميراث الترجمة)	روايات مختارة	يحيى حقى

٩١٣-	ترجمات يحيى حقى (جـ٢) (ميراث الترجمة)	مسرحيات مختارة	يحيى حقى
٩١٤-	ترجمات يحيى حقى (جـ٣) (ميراث الترجمة)	ديزموند ستيوارت	يحيى حقى
٩١٥-	المرأة فى أثينا: الواقع والقانون	روچر چست	منيرة كروان
٩١٦-	الجدلية الاجتماعية	أنور عبد الملك	سامية الجندى وعبدالعظيم حماد
٩١٧-	موسوعة كمبريدج (جـ١)	نخبة	إشراف: أحمد عتمان
٩١٨-	موسوعة كمبريدج (جـ٤)	نخبة	إشراف: فاطمة موسى
٩١٩-	موسوعة كمبريدج (جـ٩)	نخبة	إشراف: رضوى عاشور
٩٢٠-	خليل جبران: حياته وعالمه	چين جبران و خليل جبران	فاطمة قنديل
٩٢١-	لله الأمر (رواية)	أحمدو كوروما	ثريا إقبال
٩٢٢-	الموريسكيون فى إسبانيا وفى المنفى	ميكيل دى إيبالثا	جمال عبد الرحمن
٩٢٣-	ملحمة حرب الاستقلال (شعر)	ناظم حكمت	محمد حرب
٩٢٤-	حتشبسوت: عظمة وسحر وغموض	كريستيان دى روش نوبلكور	فاطمة عبد الله
٩٢٥-	رمسيس الثانى: فرعون المعجزات	كريستيان دى روش نوبلكور	فاطمة عبد الله
٩٢٦-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ٢، مجـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٩٢٧-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ٢، مجـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٩٢٨-	سجون الضوء	كيتى فرجسون	عزت عامر
٩٢٩-	نشأة الإنسان (مجـ١)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣٠-	نشأة الإنسان (مجـ٢)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣١-	نشأة الإنسان (مجـ٣)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣٢-	حلق السحر فى تقلق الشعر (ميراث الترجمة)	رشيدالدين العمرى	إبراهيم الشواربى
٩٣٣-	اللاعقلانية الشعرية	كارلوس بوسونيو	على منوفى
٩٣٤-	محنة الكاتب الأفريقى	تشارلز لارسون	طلعت الشايب
٩٣٥-	تاريخ الفن الألمانى	فولكر جيبهارت	علا عادل
٩٣٦-	بيولوجيا الجحيم	إد ريچيس	أحمد فوزى عبد الحميد
٩٣٧-	هيا نحكى (قصص أطفال)	أحمد ندالو	عبدالحى سالم
٩٣٨-	الأنطولوجيا السياسية عند مارتن هيدجر	بيير بورديو	سعيد العليمى
٩٣٩-	سجن العقل	ستيفن چونسون	أحمد مستجير
٩٤٠-	اليابان الحديثة: قضايا وآراء	مجموعة مقالات	علاء على زين العابدين
٩٤١-	الجماليات لم يولدن بعد	آى كويني أرماه	صبرى محمد حسن
٩٤٢-	القرن الجديد	إريك هوبسبوم	وجيه سمعان عبد المسيح
٩٤٣-	لقاء فى الظلام	مختارات من القصص الأفريقية	محمد عبد الواحد
٩٤٤-	الكونتراباص	پاتريك زوسكيند	سمير جريس
٩٤٥-	أحلام يقظة جوال منفرد (ميراث الترجمة)	چان چاك روسو	ثريا توفيق
٩٤٦-	الزار ومظاهره المسرحية فى إثيوبيا	ميشيل ليريس	محمد مهدى قناوى
٩٤٧-	ماوراء المعنى والحقيقة	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٩٤٨-	أفريقيا منذ عام ١٨٠٠	رونالد أوليڤر وأنتونى أتمور	فريد چورچ بورى
٩٤٩-	مقبرة الصدأ	أندريه فيش	نافع معلا
٩٥٠-	فى علم الكتابة	چاك ديريدا	منى طلبة وأنور مغيث
٩٥١-	الاتهام (رواية)	فريدريش دورينمات	عماد حسن بكر

٩٥٢- العبد ومسرحيات أخرى — أميرى بركة — نعيمة عبد الجواد
٩٥٣- مختارات من الشعر الإسبانى (جـ٢) — نخبة من الشعراء — على عبد الرءوف البمبى
٩٥٤- الأصول الاجتماعية للسياسة التوسعية فى عهد محمد على — فرد لوسون — عنان الشهاوى
٩٥٥- الطب والأطباء — سيلفيا شيفولو — ماجدة أباظة
٩٥٦- نعم، ليست لدينا نيوترونات — أ. ك. ديونى — سمير حنا صادق
٩٥٧- الحركات الاجتماعية (١٧٦٨-٢٠٠٤) — تشارلز تلى — ربيع وهبة
٩٥٨- أصوات على هامش الحرب — مريام كوك — صلاح حزين
٩٥٩- الموريسكيون فى الفكر التاريخى — ميغيل أنخيل بونيس — وسام محمد جزر
٩٦٠- محمد على الكبير — الأمير عثمان إبراهيم وكارولين وعلى كورخان — هدى كشرود
٩٦١- شعر الرعاة (ميراث الترجمة) — مختارات من الأدب اليونانى — محمد صقر خفاجة
٩٦٢- مدخل إلى الفلسفة — وليام جيمس إيرل — عادل مصطفى
٩٦٣- منتخبات شعرية — حسن رضا خان الهندى — فاطمة سيد عبد المجيد
٩٦٤- أصول التطرف — كيمبرلى بليكر — هبة رءوف وتامر عبد الوهاب
٩٦٥- روح مصر القديمة — آنا رويز — إكرام يوسف
٩٦٦- ما وراء الطبيعة فى إيران (ميراث الترجمة) — محمد إقبال — حسين مجيب المصرى
٩٦٧- فن الحرب (مجـ ١) — سون تزى — هشام المالكى
٩٦٨- عالم الخوارق — ج. كوير — كمال الدين حسين
٩٦٩- التليفزيون خطر على الديمقراطية — كارل بوبر وچون كوندرى — مجدى عبد الحافظ

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٣١٦٨/ ٢٠٠٦

